جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

البعد النفسي والفني في عتاب الآخر للشاعر في القصيدة الهُذَلية

الدكتور
عصمت محمد أحمد رضوان
الأستاذ المساعد في قسم الأدب والنقد
بكلية اللغة العربية بجرجا

العدد الحادي والعشرون
للعام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م
الجزء الثالث
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٧م
الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علـــى أشـــرف الخلـــق وإمـــام المرسلين ، سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ،وعلي آله وصـــحبه والتـــابعين ، صلاةً وسلاماً دائمَين متلازمَين إلى يوم الدين .

أما بعد

فإن الشعر هو سجل العرب الأكبر، وديوانهم الأشهَر ، الذي عبروا فيـــه عن علاقتهم بغيرهم: حبًا وكرهًا ، وصداقةً وعداوة، بل عرضـــوا فيـــه خلجـــات نفوسهم ، ودقات قلوبهم ، ونوازع أفكارهم .

ويمثل موضوع العتاب جانبا مهما من جوانب تصوير علاقة الشاعر بمَنْ يحيطون به ، أو تربطه وإياهم علاقة وصلة، فقد عمد الشـــعراء إلـــى تصـــوير عتابهم للآخر أو عتاب الآخر لهم ، وما وراء ذلك من دوافع نفسية .

وتُعد قبيلة هذيل من القبائل ذات المكانة الاجتماعيـــة والأدبيـــة بـــين القبائـــل العربية، فقد كانت من القبائل العربية التي اشتهرت بالفصاحة والبيان ، فقد كثـــر شعراؤها ، وعُرفت أخبارهم ، وذاع صيتهم ، وتناقلت الرواة هذه الأشعار . يقول الدكتور/ عبد الجواد الطيب عنها : " قبيلة هذيل إحدى قبائل الحجاز ، ومن أقربها إلى قريش جوارا ونسبا وصهرا ، وكان لها دور في صدر الإسلام صدا وإعراضا، أو قبولا وتسليما ، وكان لبعض رجالها في الجاهلية شأن ، ورجالاتها في الإسلام لهم كبير خطر ، وكان لشعرها وشعرائها أثر كبير في اللغة والأدب ، فقد كان حظ الهذليين – فيما يبدو – من الشعر والشعراء أكثر من حظ غيرهم من العرب " [1].

---

١ – هذيل في جاهليتها وإسلامها – تأليف الدكتور / عبد الجـــواد الطيـــب ص ٧ – ط الـــدار العربية للكتاب ١٩٨٢م .

ونظرا لهذه المكانة التي حظيت بها قبيلة هذيل عامة ، وشعراؤها خاصة ، فقد اهتم بها أهل الأدب ورواة الشعر فنقلوا لنا أشعارهم ، وجمعوها في ديوان حمل اسم هذه القبيلة (ديوان الهذليين) ، وقد تعرض لهذا الديوان عديد من شراح الدواوين أمثال السكري ، وابن جني فشرحوا قصائده ، وكشفوا غوامضه .

لهذه الأسباب عقدت العزم ، وتوكلت على الله ، وقمت بعمل هذه الدراسة التي تتناول البعد النفسي والفني في عتاب الشاعر للآخر في القصيدة الهُذَلية، راجيا من الله تعالى التوفيق والقبول ، ومن قبلهما العون والسداد .

ويمكن إيجاز أهمية الموضوع الأدبية في أن الشعر المروي عن هذيل هو شعر يمثل الفكر الأدبي لدى قبيلة عربية مشهورة ، وقد مكن هذا الشعر من الكشف عن المنهج الفكري والاجتماعي، والنفسي والثقافي لهذه القبيلة ، ولاشك أن هذا يكشف الكثير عن المكانة الأدبية لهذه القبيلة العربية العريقة، ويجلي بعض الجوانب النفسية والفنية لشعرائها .

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد ، ثم في فصلين ، تلحقهما الخاتمة والفهارس الفنية .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل مقبولاً ، فإن أكن قد أصبت فذلك فضل من الله ، وإن تكن الأخرى فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ، وحسبي أنني اجتهدت وأخلصت النية فيه ، والكمال لله – تعالى– وحده .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الباحث

تمهيد

أولاً : مفهوم العتاب

يطلق العتاب في اللغة على اللوم ونحوه .

جاء في لسان العرب :

عاتبه معاتبةً وعتابًا: لامهُ . قال الشاعر[١] :

أعاتب ذا المودة من صديق ⁂ إذا ما رابني منه اجتنابُ

إذا ذهب العتاب فليس ودٌ ⁂ ويبقَى الود ما بقي العتابُ

والعِتَاب والعُتب والعُتْبَان: لومُكَ الرجل على إساءة كانت له إليك فاستعتبته منها [٢] .

وفي المعجم الوسيط : "عتبَ عليه عتبًا وعتابًا ومعتبًا ومعتبةً : لامه وخاطبه مخاطبة الإدلال طالبًا حسن مراجعته ، ومذكِّرًا إياه بما كرهه منه "[٣] .

فالمادة اللغوية للكلمة تدور حول اللوم الذي يأتي في سياق المحبة، ويكون الغرض منه الحرص على بقاء المودة .

---

١ – البيتان لعلي بن الجهم وهما في ديوانه ص ٤٩ ، تحقيق خليل مراد ــ ط وزارة المعارف السعودية ــ الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م

٢ – انظر : لسان العرب لابن منظور– مادة (ع ت ب) ٥٧٧/١ ط دار صادر – بيروت – لبنان– الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ .

٣ – المعجم الوسيط _ إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة – مادة (ع.ت.ب) ٢ / ٥٨١ – ط دار الدعوة – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

ـ الألفاظ التي تدل على معنى العتاب في اللغة العربية :

وقد تعددت الألفاظ التي تفيد معنى العتاب في اللغة العربية ، ومن هذه الألفاظ ما أورده صاحب نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد في : " فَصْلٌ في اللَّوْمِ وَالْمَعْذِرَةِ : يُقَالُ: لُمْتُ الرَّجُلَ عَلَى مَا أَتَى، وعَذَلْتُهُ، ولَحَيْتُهُ أَلْحَاهُ، وأَنَّبْتُهُ، ووَبَّخْتُهُ، وَعَنَّفْتُهُ، وبكَّتُّه، وَقَرَّعْتُهُ، وثَرَّبْتُهُ، وأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ بِاللَّوْمِ، وأَحلْتُ عَلَيْهِ بِاللَّوْمِ، وأَنْحَيْتُ عَلَيْهِ بِاللَّوْمِ، وَانْثَنَيْتُ عَلَيْهِ بِالْمَلامِ، ومَضَضْتُهُ بِالْمَلامِ، وأَوْجَعْتُهُ بِاللَّوْمِ، وأَغْلَظْتُ عَلَيْهِ اللائمَة، ولُمْتُهُ لَوْماً عَنِيفاً، وعَذَلْتُهُ عَذْلا أَلِيماً، وَشَدَدْتُ عَلَيْهِ النَّكِير، وَصَدَقْتُهُ اللَّوْمِ وَالْعِتَاب، وَجَعَلْتُ عَلَيْهِ لِسَانِي مِبْرَداً.

وَقَدْ فَنَّدْتُ قَوْلَهُ، وفَيَّلْتُ رَأْيَهُ، وَسَخَّفْتُ عَقْلَهُ، وَقَبَّحْتُ فِعْلَهُ، وَسَوَّأْتُ عَمَلَه، وَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِ فِعْلَتَهُ، وَذَمَمْتُ إِلَيْهِ رَأْيَهُ وَصَنِيعَهُ.

وَيُقَالُ: نَعَيْتُ عَلَيْهِ كَذَا أَنْعَاهُ أَيْ عِبْتُهُ عَلَيْهِ وَوَبَّخْتُهُ. وَإِنَّ فُلاناً لَمَلُوم عَلَى مَا صَنَعَ، وَقَدْ أَلام الرَّجُل، وَاسْتَلامَ، إِذَا أَتَى مَا يُلامُ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ اِسْتَلامَ إِلَى الْقَوْمِ إِذَا أَتَاهُمْ بِمَا يَلُومُونَهُ عَلَيْهِ.

وَتَقُولُ: عَاتَبْتُ الرَّجُلَ عَلَى مَا فَعَلَ، وَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِ فِعْلَهُ، وَعَرَّضْتُ لَهُ بِالنَّكِيرِ، وعَذَلْتُه عَذْلا لَطِيفاً، وَأَنَّبْتُهُ تَأْنِيباً رَفِيقاً، وَقَرَصْتُهُ بَعْض الْقَرْصِ، وَأَبَنْتُ لَهُ سُوءَ صَنِيعِهِ.

وَتَقُولُ هَذَا أَمْر لا تُعْذَرُ عَلَى فِعْلِهِ، وَلا تَتَّسِعُ لَك فِيهِ مَعْذِرَة، وَلا يَسَعُك فِيهِ عُذْر، وَأَمْر يَضِيقُ عَنْهُ نِطَاقُ الْعُذْرِ، وَلا يُمَهِّدُ لَك فِيهِ عُذْر، وَلا تَبْرَأُ فِيهِ مِنْ الْمَلامِ" (١).

---

١ – نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد لإبراهيم بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن جنبلاط بن سعد الْيَازِجِيّ الْحِمْصِيّ ١٠٩/٢ ، ١١٠ – مطبعة المعارف، مصر ١٩٠٥ م .

فمن خلال هذا النص يتضح أن هناك ألفاظا ترادف العتاب منها :

اللوم والعذل والملاحاة والتأنيب والتوبيخ والتعنيف والتبكيت والتقريع والتثريب وغيرها.

وهي جميعها ألفاظ مترادفة أو متقاربة الدلالة .

ثانياً : قبيلة هذيل ومكانتها

تكاد تجمع المصادر التي أرخت لهذه القبيلة على أنهم :

بنو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهي إحدى القبائل المضرية [١].

ومن المعروف أن قبيلة هذيل قبيلة بدوية ، ومعنى ذلك أن عماد حياتها السفر والترحال طلبا للمرعى وللماء ، ومما ينتج عن هذه الطبيعة القبلية عدم استقرار هذيل في موطن واحد ، كما هي عادة الحضر من الاستقرار والإقامة والبناء في مكان محدد .

---

١ – ينظر نسبهم في : جمل من أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق: سهيل ذكار ورياض الزركلي ٢٠٩/١١ – ط دار الفكر – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م ، والأنساب لعبد الكريم ابن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (المتوفى: ٥٦٢هـ) تحقيق: عبد الله عمر البارودي ٦٣١/٥ – ط دار الجنان – بيروت – لبنان ١٩٨٨م ،واللباب في تهذيب الأنساب – لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) ٣/ ٣٨٣ – ط دار صادر – بيروت ، ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)١٢١٣/٣_ط مؤسسة الرسالة، بيروت _لبنان _الطبعة: السابعة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.

لذلك فقد تعددت مواطن إقامة هذيل ، ويمكن القول إن مساكنهم في الجاهلية قد شغلت رقعة واسعة من إقليم الحجاز في مناطق متعددة حول مكة ، وفي أطرافها الجنوبية والشرقية ، وفي عرفة وما يتصل بها ، وفي أماكن أخرى كثيرة بين مكة والمدينة [١].

جاء في معجم قبائل العرب القديمة والحديثة :"كانت ديارهم بالسروات، وسراتهم متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف، وكان لهم أماكن ومياه في أسفلها من جهات نجد، وتهامة بين مكة والمدينة"[٢].

وقد فصل الهمداني منازل هذيل فقال : " منازل هذيل: عرنة وعرفة وبطن نعمان ونخلة ورحيل وكبكب والبوباة وأوطاس وغزوان فأخرجهم منه بنو سعد أخرجوها في وقتنا هذا بمعونة عجّ بن شاخ، سلطان مكة وغزوان من أمنع جبال الحجاز وأكثرها صيداً وعسلاً وهو يشاكل من جبال السراة شنا وجبل بارق " [٣].

أما مساكن هذيل في الإسلام فيذكر الدكتور / عبد الجواد الطيب أن بعض المؤرخين ذهب إلى أن هذيلا تفرقت بعد الإسلام ، ولم يبق لهم في الجزيرة العربية حي يطرق .

ولكنه يرفض هذا الرأي ، ويرى أنه يحمل الكثير من الشطط والمبالغة ، بينما يرى هو أن هذيلا وإن فارق الكثير منهم الحجاز وتهامة إلى بلاد الإسلام الأخرى إلا أن عددا منهم بقي في منازلهم بالحجاز بعد الإسلام ، فبعض هذيل لا

---

١ – ينظر : هذيل في جاهليتها وإسلامها ص ٥١ .

٢ – معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٣ / ١٢١٣ .

٣ – صفة جزيرة العرب لابن الحائك، أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الشهير بالهمداني (المتوفى: ٣٣٤هـ) ص١٧٣ طبعة: مطبعة بريل– ليدن، ١٨٨٤م.

يزال يسكن الجبال بين مكة والطائف ، فهم ما يزالون يقيمون في مواطنهم التي كانوا يسكونها في الجاهلية [١].

والحق أني أميل إلى رأي الدكتور/ الطيب ، فقد جاء في بعض الكتب ما يدل على أماكن إقامة هذيل بهذه الأماكن ، مع عدم الإشارة إلى مفارقتهم لها جاء في آثار البلاد وأخبار العباد عند الحديث عن الطائف : الطائف : بليدة على طرف واد، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً، طيبة الهواء شمالية، ربما يجمد الماء بها في الشتاء. قال الأصمعي: دخلت الطائف وكأني أبشر وقلبي ينضح بالسرور، ولم أجد لذلك سبباً إلا انفساح جوها وطيب نسيمها.

بها جبل عروان يسكنه قبائل هذيل، وليس بالحجاز موضع أبرد من هذا الجبل، ولهذا اعتدال هواء الطائف، ويجمد الماء به وليس في جميع الحجاز موضع يجمد الماء به إلا جبل عروان " [٢].

وأكد هذا القول أيضا صاحب الروض المعطار في خبر الأقطار قائلا : " والطائف على جبل غزوان وبه جملة من قبائل هذيل وهو جبل مشهور بالبرد وربما جمد الماء في الصيف لشدة برده " [٣].

فضلا عن هذا أن الإسلام بما له من طبيعة سمحة لم يكن يجبر أحدا ممكن دخل الإسلام على مفارقة موطنه ، أو التخلي عن بلده ، فلم يجل أحدا إلا من كان في دار حرب ، أو عدو ظاهر .

---

١ – ينظر : هذيل في جاهليتها وإسلامها ص ٧٠ .

٢ – آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ) ص ٩٨ – ط دار صادر – بيروت –لبنان – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

٣ – الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى، ص ٣٧٩ ، تحقيق: إحسان عباس الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – لبنان– الطبعة الثانية، ١٩٨٠ م.

* **مكانة هذيل :**

لاشك أن قبيلة هذيل من القبائل الكبرى بالحجاز ، وهذا كان سببا في دخولها في صراعات سياسية واقتصادية واجتماعية ، حسبما تقتضي الطبيعة البدوية ، مما لم يتح لها العيش في هدوء وسلام ، وقد كانت لها مشاركة في الأحداث الكبرى منذ محاولة أبرهة الحبشي لهدم الكعبة، فقد عرضوا عليه الأموال حتى يرتدع عن هدم الكعبة لكنه رفض .

جاء في تاريخ الطبري : " كان- فيما زعم بعض أهل العلم- قد ذهب عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة بعمرو بن نفاثة بن عدي بن الدئل بْن بكر بْن عبد مناة بْن كنانة- وهو يومئذ سيد بنى كنانه- وخويلد بن واثله الهذلي- وهو يومئذ سيد هذيل- فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم والله أعلم " [1].

وتدخل قبيلة مثل قبيلة هذيل في قضية لها شأن مثل قضية هدم الكعبة إذا دل على شيء ، فإنما يدل على مكانتها الاجتماعية بين القبائل العربية على كثرتها.

إلا أن هذيلا لم يكن لها مكانة ثقافية تذكر ، فقد كان لها بعض الأسواق ، كما أنها لم تنجب شاعرا من الشعراء الكبار كأصحاب المعلقات ، إلا أنهم كانوا أهل فصاحة وشعر ، كما أنها لم تعقد حلفا مع أحد من القبائل، فيبدو أنها عاشت في عزلة وتفرد .

---

١ - تاريخ الطبري :تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ١٤٣/٢ - ط دار التراث - بيروت- لبنان- الطبعة الثانية - ١٣٨٧ هـ .

يقول عنهم القلقشندي : " وهم: بنو هذيل بن مدركة بن إلياس، المذكور. قال أبو عبيد: كان له من الولد: سعد، ولحيان، بطن، وعميرة، وهرمة بطن. وأمهم ليلى بنت فزان بن بليّ. ومنهم: عبد الله بن مسعود الصحابي – رضي الله عنه – وأبو ذؤيب الهذلي الشاعر، في جماعة غيره من الشعراء، ولشعرائهم ديوان حافل، كان الشافعي – رضي الله عنه يحفظه – " [١].

كما يؤكد الدكتور / عبد الجواد الطيب على مكانة هذيل في الجهاد الإسلامي ومحاربة الكفار والمشركين ممثلا هذا الجهاد فيما قام به الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وهو من هذيل ، فقد جاهد كفار قريش، وجاهرهم بإسلامه وشعائر دينه ، فقد كان أول من جهر بالقرآن من المسلمين لا يخاف في ذلك بطش كفار قريش .

كما أنه أبلى بلاء حسنا في مشاركته مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في غزواته فقد حرص على أن يبذل قصارى جهده في الجهاد ، كما كان له الفضل في إسلام بعض بني هذيل علي يديه ، ومنهم : سلمة بن صخر الذي شهد حنينا مع جيش المسلمين .

فضلا عن ذلك فقد شارك كثير من الهذليين في الجهاد مع جيش المسلمين على عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه [٢].

وهذا اتضح لنا بشكل موجز ما حظيت به قبيلة هذيل من مكانة في العصر الجاهلي وكذلك في العصر الإسلامي .

---

١ – قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (المتوفى: ٨٢١هـ) تحقيق: إبراهيم الإبياري ص ١٣٣ – ط دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢ م ، وينظر أيضا : شعراء هذيل: أخبارهم وأشعارهم في القرن الأول الهجري ، للمكي العلمي ، ص ٦٥ وما بعدها ، جامعة دمشق ١٩٨٣.

٢ – ينظر : هذيل في جاهليتها وإسلامها ص ١٤٢ .

الفصل الأول

البعد النفسي في عتاب الآخر

للشاعر في القصيدة الهُذَلية

يعد العتاب من الأمور الملازمة للطبيعة الإنسانية ، فالإنسان كثير اللوم والعتاب لمن يخالطه من بني جلدته لدواعٍ ودوافع نفسية واجتماعية منها : الحرص على بقاء العلاقة ودوام الصحبة، وكذلك تحقيق أكبر قدر من الفائدة من الصديق والقريب المعاتَب ، وأيضًا تقوية أواصر المحبة إذا كان العتاب للمحبوبة أو الزوجة.

والمتأمل في قصائد عتاب الآخر للشاعر عند هذيل يجد أن هذا الآخر الذي يكون منه العتاب للآخر إما أن يكون الزوجة ، أو المحبوبة ، أو الصديق أو القريب.

وأحاول في الصفحات التالية من البحث بمشيئة الله – تعالى – إيضاح هذه الألوان الثلاثة مع الإشارة إلى البعد النفسي فيها :

ونظرا لهذه الأهمية النفسية للعتاب ، فقد تعددت الصور الشعرية التي وردت مشتملة على العذل ، فتارة يرد العذل على لسان الزوجة ، وتارة يرد على لسان الحبيبة ، وتارة على لسان غيرهما ، وهذا مما يظهر أهمية المرأة لدى العربي ، فقد كانت لها مكانة كبيرة في الجاهلية والإسلام ، وقد حظيت المرأة بمكانة رفيعة في عصر ما قبل الإسلام سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، وعبروا عن هذه المكانة في أشعارهم نظموها ، فإنه يمكن القول : إن وجود الحديث عن المرأة في أية قصيدة شعرية بأي شكل من الأشكال هو أمر مسلم به في الشعر

الجاهلي ، وهذا دليل على مكانتها ، وعظم أمرها [١]، وقد انعكس هـذا الاهتمـام بداهة على الهذليين ، فقد اهتموا بها ، واعتزوا بها أما وأختا ، وابنة ، وحفظوا لكل واحدة منهم مكانتها ، ورعوا حقها كما ينبغي .

فالمتأمل في قصائد عتاب الآخر للشاعر عند هذيل يجد أن هذا الآخر الذي يكون منه العتاب للآخر إما أن يكون الزوجـة ، أو المحبوبـة ، أو الصـديق أو القريب.

وأحاول في الصفحات التالية من البحث بمشيئة الله – تعـالى – إيضـاح هذه الألوان الثلاثة مع الإشارة إلى البعد النفسي فيها :

١ – ينظر في ذلك : المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام – لأحمد سـليمان مهنـا ص ١٨ وما بعدها – الجامعة الإسلامية – غزة – كلية الآداب ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

المبحث الأول

عتاب الآخر / الزوجة

تمثل الزوجة نصف المجتمع ، فهي العنصر الثاني في بناء أي مجتمع ، وهي عماد الأسرة ، ومدار تكوينها ، فهي أم الولد ، وسند الرجل في معاشه وعياله .

ونظرا لذلك ، فقد كان للزوجة دورها في حياة الشاعر الهذلي ، فوجدناه يرصد في شعره ما يصدر عنها من عتاب له، أو لوم على تصرف من تصرفاته .

يقول بعض الباحثين : " ويعكس الشعر الهذلي الصورة الاجتماعية للعلاقة بين الزوج وزوجته ، فقد أبدت أشعارهم صورة الزوجة اللائمة التي تنازع زوجها دوما ، وتعيره بفقره وسوء حاله ، وتبدي غلظة وجفاء في معاملته ، وتصرح بسوء حظها ، وتتأسف ندما على زواجها منه ، فقد حرمها ذلك وضيع عليها فرصة الارتباط بغيره من الرجال الأغنياء ، ثم لم تتورع عن استنكار بذله المال للمحتاجين ورغم لطفه ولينه في مخاطبتها علها تعود إلى رشدها " [١].

وتتعدد نماذج الشعر الهذلي لعتاب الزوجة زوجها ،فها هو ذا أبوذؤيب الهذلي [٢] يقول : [٣] .

١- اتجاهات الشعر عند الهذليين لمحمد يوسف غريب، ص٧٩ ، جامعة اليرموك ٢٠١٢م.

٢ - هو : عبد الله بن سلمة السهمي، من بني هذيل بن مدركة ، شاعر، من الفصحاء. كان في العصر الأموي، مواليا لبني مروان، متعصبا لهم، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح. وكان قد حبسه عبد الله بن الزبير عاما وأطلقه بشفاعة رجال من قريش. وهو صاحب الأبيات المشهورة التي أولها: عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر، توفي نحو سنة ٨٠هـ . (تنظر ترجمته في الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي ٢٧٤/١٣ ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، ط دار إحياء التراث ـ بيروت ـ لبنان ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، والأعلام لخير الدين الزركلي (٤/ ٩١) – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢م .

٣ - القصيدة في ديوان الهذليين – القسم الأول ص ١٣٤ – طبعة دار الكتب المصرية – الطبعة الثانية ١٩٩٥م .

أَعـــاذِلُ إنَّ الـــرُزءَ مِثـــلُ ابـــنِ مالِـــكٍ
زُهَـــيرٍ وَأَمثـــالُ ابـــنِ نَضـــلَةَ واقِـــدِ
وَمِثـــلُ السَدوسِـــيَّينِ ســـادا وَذَبـــذَبا
رِجـــالَ الحِجـــازِ مِـــن مَســـودٍ وَســـائِدِ
أَقَبّـــا الكُشـــوحِ أَبيَضـــانِ كِلاهُمـــا
كَعالِيَـــةِ الخَطِّـــيِّ وارى الأَزانِـــدِ
أُعـــاذِلُ أَبقـــى لِلمَلامَـــةِ حَظَّهـــا
إِذا راحَ عَنّـــي بِالجَلِيَّـــةِ عائِـــدي
فَقـــالوا تَرَكنـــاهُ تَزَلـــزَلُ نَفسُـــهُ
إِذا أَســـنَدوني أَو كَـــذا غَـــيرَ ســـانِدِ
وَقـــامَ بَنـــاتي بِالنِعـــالِ حَواسِـــراً
وَأَلصَـــقنَ ضَـــربَ السِـــبتِ تَحـــتَ القَلائِـــدِ
يَـــوَدّونَ لَـــو يَفـــدونَني بِنُفوسِـــهِم
وَمَثنـــى الأَواقـــي وَالقِيـــانِ النَواهِـــدِ
وَقَـــد أَرسَـــلوا فُـــرّاطَهُم فَتَـــأَثَّلوا
قَليبـــاً سَـــفاها كَالإِمـــاءِ القَواعِـــدِ
مُطَأطَـــأَةً لَـــم يُنبِطوهـــا وَإِنَّهـــا
لَيَرضـــى بِهـــا فُرّاطُهـــا أُمَّ واحِـــدِ
قَضَـــوا مـــا قَضَـــوا مِـــن رَمِّهـــا ثُـــمَّ أَقبَلـــوا
إِلَـــيَّ بِطـــاءَ المَشـــيِ غُـــبرَ السَـــواعِدِ
يَقولـــونَ لَمّـــا جُشَّـــتِ البِئـــرُ أَوردوا
وَلَـــيسَ بِهـــا أَدنـــى ذُفـــافٍ لِـــوارِدِ
فَكُنـــتُ ذَنـــوبَ البِئـــرِ لَمّـــا تَبَسَّـــلَت
وَسُـــربِلتُ أَكفـــاني وَوُسِّـــدتُ ســـاعِدي

أَعـــــاذِلَ لا إِهـــــلاكُ مـــــالِيَ ضَـــــرَّني
وَلا وَارِثـــــي إِن ثُمَّـــــرَ المـــــالُ حامـــــِدي

في هذه الأبيات [١] يحكي أبو ذؤيب ما وقع له من عتاب زوجته ولومها لـه على كثرة إنفاقه المال، فيبدأ القصيدة بخطابها قائلا : أعاذل ، وهو نداء يبدو فيه العتاب منه لزوجته لعذلها له في إنفاق ماله ، ويقول لها : إن الرزء والمصيبة ليست في ضياع المال وإتلافه ، وإنما المصيبة في فقد وموت أمثال هؤلاء الذين ذكرهم ابن مالك وزهير ، وأمثال نضلة واقد ، فهذا هو الفقد والهلاك الذي يحزن القلب له لا ضياع المال كما ترى زوجته .

ثم يتبع ذلك في البيت الثاني بمثال آخر من الرجال الذين يجدر الحزن على فقدهم ، وهو سُدوس وهو ممن ساد في الحجاز ، وكانت له القيادة والريادة .

ثم يعدد أبو ذؤيب بعضا من صفات هؤلاء الرجال ، فهم شجعان ، كأن الواحد منهم رأس حربة في قوته ومضيه ، ويؤكد هذا المعنى وهو قوة الأمر بقوله : واري الزند (كناية عن قوة الأمر ، كما يعبر به عمن يطلب منه الخير ، فيصاب عنده) .

ثم يعود لنداء عاذلته مرة أخرى طالبا منها أن تبقي للملامة حظها ووقتها، مطالبا إياها بالتراجع عن لومه ، وإلا فليكن لومها لوما رفيقا ..

---

١ – ينظر شرح هذه الأبيات في : ديوان الهذليين القسم الأول ص ١٣٤ ، وشرح أشعار الهذليين صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري – حققه / عبد الستار أحمد فراج – راجعه / محمود محمد شاكر ٢٤/١ وما بعدها – مطبعة المدني بالقاهرة – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

إن وقت الملامة الذي يقصده الشاعر هو وقت موته ،وهو يتحدث هنا عن حال قومه عند وفاته ، وقد أرسلوا متقدميهم يجهزون له القبر ، ويهيئونه لـــه ، فحفروا له قليبا – قبرا– ترشبهه بالإماء القواعد اللاتي لا ينجبن ، فاجتمع عليه ذل الرق وذل القعود عن الولد .

وهكذا يصور أبو ذؤيب صورته عند موته ، مجسدا موقف زوجته التـــي لامته على كرمه وبذله ، وبناته اللاتي ندبه ، وضربن لموته الصدور ، ثم يتنهي مرة أخرى بنداء عاذلته نداء رقيقا معاتبا لها ، موضحا لهـــا أمـــرا فـــي غايـــة الأهمية، وهو أنه عند الموت لن ينفعه ما أهلك من ماله ، كما أن ما تركه وجمعه – ثمره – من مال لورثة لن يحمدوه على ماترك .

أَعـــــاذِلَ لا إِهـــــلاكُ مـــــالِيَ ضَـــــرَّني
وَلا وَارِثـــــي إِن ثُمَّـــــرَ المـــــالُ حامـــــِدي

وبالنظر إلى الأبيات نظرة نفسية تتبدي مقدرة الشاعر على التعامل مع نفسية زوجته المعاتبة ، فهو يعمد إلى اللطف في الحديث ، والتودد في القـــول ، وهذا يتناسب مع طبيعة النساء ، وحتى لا يزيد الأمر تعقيدا إذا ما لجأ إلى إغلاظ القول ، وتعنيف عاذلته .

وفي لمحة تتسم بالذكاء يلجأ الشاعر إلى صرف فكر زوجته عن القضـــية الرئيسة وهي إتلاف المال إلى قضية أخري وهي المقارنة بـــين المـــال المفقـــود والكرماء الراحلين، ليحمل الزوجة على الإقرار بأن فقد هؤلاء أعظـــم مـــن فقـــد المال، فالمال يمكن تعويضه أما هؤلاء فلا .

ثم ينتقل من الحديث عن موت هؤلاء الذين ذكرهم إلى الحديث عن موته هو، ويستطرد في ذكر تفاصيل ذلك من أمر تجهيزه وتكفينـــه ودفنـــه ، ليســـتدر عطفها ، ويستجلب شفقتها – فإن أعظم مصيبة على الزوجة هي موت زوجها– لعلها تكف عن عتابها له .

وهو في هذا كله لا يتخلى عن الخطاب الرقيق، معتمدا على الإقناع والتأثير، مراعيا نفسية الزوجة ، وطرائق تفكيرها، وأظنه قد نجح في إقناعها، بل وتحول موقفها من العاذل المعاتب إلى المناصر المؤيد .

وممن تعرض لعتاب الزوجة ولومها أبو خراش الهذلي [١] الذي كان كريما يدعو امرأته دائما إلى ألا تدخر قوتاً، ولا تبقي لغد شيئا، فإذا لم يجدا في غد بعض زادهما فسيحاول أن يحصل لها على زاد غيره، أو فلتمسك فمها عن الطعام [٢].

يقول أبو خراش: [٣]

لقد علمتْ أمُ الأُدَيبر أنني
أقول لها هَدّي ولا تَذخري لحمي
فإنّ غداً إن لا نجد بعض زادنا
نُفئُ لك زادا أو نُعَدِّكِ بالأزمِ
إذا هي حنّت للهوى حنّ جوفها
كجوفِ البعير قلبُها غيرُ ذي عزمِ
فلا وأبيكِ الخير لا تجدينه
جميلَ الغِنى إلا صبوراً على العُدْمْ

١ – هو : خويلد بن مرة، من بني هذيل، من مضر: شاعر مخضرم، وفارس فاتك مشهور ، أدرك الجاهلية والإسلام. واشتهر بالعدو، فكان يسبق الخيل. أسلم وهو شيخ كبير، وعاش إلى زمن عمر (رض) وله معه أخبار. نهشته أفعى فقتلته . توفي نحو سنة ١٥ هـ . (تنظر ترجمته في : الوافي بالوفيات ٢٧٥/١٣ ، والأعلام للزركلي (٢ / ٣٢٥)) .

٢ – انظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي للدكتور/ يوسف خليف ص ٢٣٤– ط دار المعارف – الطبعة الرابعة .

٣ – ديوان الهذليين القسم الثاني ص ١٢٥ وما بعدها .

ولا بطـــــــلا إذا الكُمـــــــاةُ تَزيَّنـــــــوا
لـــدى غمـــرات المـــوت بالحالـــك الفَـــدِمِ
أبعـــد بلائـــي ضـــلّتِ البيـــتَ مـــن عَمًـــى
تُحـــبُّ فراقـــي أو يَحـــلُّ لهـــا شَـــتْمي
وإنـــي لأثـــوي الجـــوعَ حتـــى يَملَّـــني
فيـــذهبَ لم يَـــدْنسْ ثيـــابي ولا جِرْمـــي
وأغتبـــق المـــاءَ القَـــراح فـــأنتهي
إذا الـــزاد أمســـى للمـــزلَّج ذا طَعـــمِ
أردُّ شـــجاع الـــبطنِ قـــد تعلمينـــه
وأوثـــرُ غـــيري مـــن عيالـــك بـــالطُّعم
وإنّـــي لأهـــدي القـــومَ في ليلـــة الـــدُّجى
وأرمـــي إذا مـــا قيـــل: هـــل مـــن فتـــى يرمـــي

يستعرض أبو خراش الهذلي في هذه الأبيات حـورا دار بينـه وبـين أم الأديبر زوجته ، وفي هذا الحوار نجد أبا خراش يستنكر علـى زوجتـه لومهـا وعتابها له على كرمه وجوده ، فيقول مخاطبا لها : إنها تعلم أنه يطالبها دائما أن تقسم هديها ، ولا تدخر اللحم ، وهي دعوة للجود بما يملك ، مطمئنا لها أنه فـي الغد إذا لم تجد بعض الزاد ، فإنه مسئول على توفير ما تحتاج له من الزاد ، وإلا فإنهما سيضطران إلى الإمساك عن الطعام .

ويعتب عليها عتابا شديدا لاذعا واصفا إياها بأنها إذا ما حنت إلـى بيـت أهلها ، وتذكرت الطعام كانت كالبعير الذي يحن إلى الطعام فاتحـا فـاه ، فهـي ضعيفة أمام الجوع ، ليس لها عزيمة قوية لتحمله.

ثم يقول : لا تجدينه جميل الأمر إذا استغنى ، ولا تجدينه صبورا إذا افتقر، ولا يكون بطلا إذا الكماة المقاتلون تزينوا لدى غمرات الموت بالحالك الفدم، وهو الدم شديد السواد .

ويتعجب الشاعر داعيا على زوجته بفقد بصرها حتى لا تهتدي إلى البيت، لرغبتها في فراقه لكرمه وجوده ، فضلا عن شتمها له .

ويفتخر أبو خراش بقدرته على تحمل الجوع حتى يمله الجوع ، وفي هذا تعريض بزوجته التي لا تستطع أن تتحمل الجوع مثله ، ثم يضيف أمرا آخر وهو أن لما له من قدرة على مقاومة الجوع حتى إن الجوع يهرب منه دون أن يدنس ثيابه أو جرمه أي جسمه .

ثم يتعالى صوت فخره بقناعته وعفته عن النهم وحب الطعام قائلا : إنه ليشرب الماء الصافي الذي لا يخالطه شيئ فينتهي ، ولا يطلب شيئا بعده ، حتى في الوقت الذي يصير الطعام فيه ذي لذة لمن نقص من الرجال – المزلج – وهي إهانة أخرى لمن تأسرهم شهوات بطونهم .

ثم يقدم لنا شكلا آخر من الفخر في سياق عفته عن الطعام ، وقدرته على مقاومة شهوة بطنه ، بأنه يستطيع أن يرد شجاع البطن ، وهو يقصد به الجوع كناية معروفة لدى العرب ، إذ كانوا يعتقدون أن في البطن ثعبانا يلدغها إذا شعرت بالجوع ، وفي مقابل هذا فإنه يؤثر غيره من عيال زوجته بالطعام .

ثم يأتي فخره مرة أخرى بأنه كريم جواد على قومه في الليلة الظلماء يهديهم ، كما أنه شجاع إذا ما خاض غمار الحرب ، ونادى المنادي هل من رام ، نجد شاعرنا يتصدر الموقف ، ويكون هو البطل المغوار الذي يرمي فيصيب [١].

---

١ – ينظر : شرح الأبيات في ديوان الهذليين ١٢٥/٢ وما يعدها ، وشرح أشعار الهذليين للسكري ص ١١٩٧ وما بعدها .

فأبو خراش – كما هو واضح – يراعي نفسية زوجته اللائمة ، ويقدر ذلك ، لكنه يجمع في كلامه بين اللين تارة ، والحزم تارة أخري ، فهو يتحدث عنها بصيغة الغائب إكرامًا لها ، ويدعوها بابنها (أم الأديبر) ، وفي هذا إكرام لها أيضًا ، كذلك يذكرها بما كان بينهما من ود وعشرة ، لعلها تكف عن لومها وعتابها .

لكنه على الجانب الآخر يدعو عليها بالعمي إن هي تنكرت لعشرته ، وتناست وده ، ويعيرها بعدم صبرها على الجوع ، ويفتخر عليها بمقدرته على التحمل ،وصبره على قلة الزاد.

والشاعر– هنا – أعلم بنفسية زوجته ، وما يلائمها من وسائل المعاملة ، فلعل الحزم ينجح فيما لا ينجح فيه اللين .

وها هو ذا قيس بن العيزارة [١] يسوق لنا نموذجا آخر من عتاب الزوجة لزوجها ،فيقول : [٢]

ألا تلك عِرسي لا تزالُ تلومني
ولو تركتني قد كفتني لوائمي
تقولُ ألا أعويتنا إذ أسرتنا
فيالك مرءا مالأمور الأشائمِ

---

١ – هو : وقيْس بنُ العَيْزَارَةِ، شاعِرٌ من شُعَرَاءِ هُذَيْل، وَهُوَ قيْسُ بنُ خُوَيْلِد وكَانَ تأبط شرا أَسَرَ قَيْسَ بن العَيْزارَة الهُذليّ ، فَسَلَبه سِلاحَه ودِرعَه. وكَانَ تأبَّطَ شرّاً قَصِيرا، فلمّا لَبِسَ دِرعَ قَيْسٍ طالَتْ عَلَيْهِ، فَسَحَبها على الحَصى، وكَذَلِكَ سَيْفُه لمّا تقلَّدَه طالَ عَلَيْهِ فَسَحَبه فوَقَّرَه لأنّه كَانَ قَصِيرا. (ينظر : تاج العروس ، للزبيدي ، (١٥ / ٢٨): (١٣ / ٢٧) ط دار الهداية ــ دون إشارة إلى تاريخ الطبع) .

٢ – شرح أشعار الهذليين للسكري ص ٦٠١ .

فإمـــا أعـــش حتـــى أدبّ علـــى العصـــا
فـــــوالله أنســـــى لـــــيلتي بالمَســـــالمِ
فإنـــك لـــو عاليتـــه في مُشـــرَّفٍ
مـــن الصُّـــفْرِ أو مـــن مشـــرفات التـــوائم

يقول بعض الباحثين موضحا مضمون هذه الأبيـــات : " فالزوجـــة قلقـــة تخشى الموت على زوجها وتتمنى عليه الكف عن مغامراته حفاظا على سلامته ، والزوج يخاطب زوجته بأسلوب حواري بأن تتوقف عن لومه ؛ إذ يكفيه ما بـــه من هموم ، ويؤكد لها استمراره في فعله محاولا إقناعها بأن الموت سيصـــيبه ، ولو كان نسرا له جناحان حط في شعب الجبال أو عجوزا يتوكأ على عصى " [١].

وهذا اللوم والعذل الذي نراه من زوجة أبي خراش الهذلي له راجع إلـــى أن هذه الزوجة لم تراعي حالته وتعبه ، فقد عيرته بالفقر وسوء الحال ، وفضلت عليه الرجال الأغنياء ، وهو ما دفعه إلى هجائها والنيل منها [٢].

فالشاعر قد عامل زوجته بمثل أسلوبها ، وردَّ عليها بطريقة فيهـــا حـــدة وصرامة .

١ – اتجاهات الشعر عند الهذليين ص ٨٢ .
٢ – ينظر : شعراء هذيل أخبارهم وأشعارهم في القرن الأول الهجري ص ١٨٧ .

المبحث الثاني

عتاب الآخر / المحبوبة

لعله من نافلة القول أن يُذكر أن الحب هو العاطفة السامية لدى البشر جميعًا، ومنهم العرب ، فقد عني الشعراء قديما وحديثا بالحديث عن الحب والمحبوبة ، فتناولوا كل ما يتعلق بالحبيبة ، عشقا وصدا ، وصفا وغزلا ، صفاء وهجرا.

وقد حوى الشعر العربي جميع ما يتعلق بالمحبوبة بكل تفاصيله الدقيقة ، ولعل من أهم مظاهر تناول ما يتعلق بالمحبوبة الحديث عن عتابها وصدها ، فقد شكى الشعراء عذل المحبوبة في كثير من الأشعار ، وكان العتاب عندهم أمرًا طبعياً بينهم وبين من يحبون.

وقد وقع لشعراء هذيل عتاب بينهم وبين محبوباتهم ، ومن هؤلاء أبوذؤيب الهذلي الذي يقول [١] :

فإمَّا يحيننَّ أن تهجري
وتستبدلي خَلَفًا أو نصيحًا
وإما يحيننَّ أن تصرمي
وتنأي نواك وكانت طَرُوحا
فإن ابن تُرْنَي إذا جئتكم
يدافعُ عني قولا بريحا
فصاحب صدق كسيد الضرا
ء ينهضُ في الغزو نهضا نجيحا

١ – ديوان الهذليين ١٣٤/١ ، وشرح أشعار الهذليين للسكري ص ٢٠١ .

يقول : [١] فإن حان الوقت أن تهجري ، فعليك بصاحب كذا كما وصف ، ولتبعدي بعدك الذي عزمت عليه ، ويقول أيضا : إنه إذا جاءها وجد عندها من يوصف باللؤم والمنقصة يدافع دفعا يبلغ به المشقة والتعب .

وينصحها بأن تستبدل هذا الصاحب اللئيم ، فهو كالذئب الذي يتخفي وراء الشجر ، ليثب في الغزو وثبا سريعًا وقويًا .

يصور أبو ذؤيب هنا حالة من الهجر والمعاتبة بينه وبين محبوبته ، ويبدو من خلال الأبيات أن الأمر بينهما قد وصل إلى طريق مسدود ، لدرجة أنه قد أصبح زاهدًا في قربها ، غير هياب من بعدها ، فلطالما ظلمته ، وأصمت أذنيها عن نصحه ، وفضلت عليه أصحابًا عُرف عنهم اللؤم وسوء الطباع .

لقد استطاع أبوذؤيب أن يفهم نفسية هذه المحبوبة فهمًا جيدًا ، لقد وصلت إلى حالٍ لا ينفع معها النصح ، ولا يجدي إزاءها العتاب ، وليس إلا النوى والقطيعة علاجان ناجعان .

و يقول في موطن آخر : [٢]

فَإِن تَصرِمي حَبلي وَإِن تَتَبَدَّلي
خَليلاً وَمِنهُم صالِحٌ وَسَميجُ
فَإِنّي صَبَرتُ النَفسَ بَعدَ اِبنِ عَنبَسٍ
وَقَد لَجَّ مِن ماءِ الشُؤونِ لَجوجُ

يخاطب أبو ذؤيب محبوبته قائلا : إن تصرمي حبل مودتي وتقطعي ما بيننا من ود ، مستبدلةً بي خليلا غيري ، ومنهم من هو صالح ومنهم من ليس فيه خير ، فإنني قد صبرت نفسي عند فقدي ابن عمي وهو ابن عنبس ، وقد

---

١ – ينظر : المرجعان السابقان .

٢ – ينظر : شرح أشعار الهذليين ص ١٣٧ .

اصابه من فقد من الحزن ما أصابه حتى أجرى الدموع التي تخرج من الشؤون وهي شعبة بين العظام يزعم الناس أن الدموع تخرج منها [١].

يعلق أحد الباحثين على موقف أبي ذؤيب الواضح في هذه الأبيات بقوله : " فهو على استعداد دائم لترك المرأة إلى غيرها ، وهو يؤكد أنها لا تحتل من نفسه منزلة هامة ، وأن فقدها لن يسبب له ألما وحزنا.

لقد افتقد من هو أهم من المرأة بكثير ، افتقد ابن عمه ، وصبّر نفسه على تلقى المصائب ، فهو لا يحفل بهجران امرأة أو صدها ، فعلاقاته دائما لم تكن صافية ، ولم تكن تشيع فيها الثقة ، وإنما يشيع فيها القلق والشك " [٢].

إن أبا ذؤيب دائم التأكيد عى قوته النفسية ، وأنه غير ضعيف أمام قلوب النساء ، ويستدل لذلك بقوته في مواقف أشد صعوبة وأعظم خطرًا من هجر المحبوبات ،فهو قد فقد أبناء عمومته الأوفياء ، فاحتمل واصطبر ، فكيف لا يصبر على فراقهن ؟

ويقول أبو ذؤيب في قصيدة أخرى له : [٣]

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ
والدَّهْرُ لَيسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ
قالَتْ أُمَيْمَةُ : مَا لِجِسْمِكَ شَاحِباً
مُنْذُ ابْتُذِلْتَ ومِثْلُ مالِكَ يَنْفَعُ
أَمْ مَا لِجَنْبِكَ لا يُلائِمُ مَضْجَعاً
إِلاَّ أَقَضَّ عَلَيكَ ذَاكَ المَضْجَعُ

---

١ – المرجع السابق .

٢ – أبو ذؤيب حياته وشعره – نورة الشعلان ص ٨٧ – جامعة الرياض – السعودية ١٩٨٠ م .

٣ – الأبيات في ديوان الهذليين القسم الأول ص ١ ، ٢ .

فَأَجَبْتُهـــا : أَمَّـــا لجِسْـــمي أَنَّـــهُ
أَوْدَى بَنِـــيَّ مِـــنَ الـــبلادِ فَوَدَّعُـــوا
أَوْدَى بَنِـــيَّ وأَعْقَبُـــونِي غُصَّـــةً
بَعْـــدَ الرُّقَـــادِ وعَبْـــرَةً لا تُقْلِـــعُ
سَـــبَقوا هَـــوَيَّ وأَعْنَقُـــوا لِهَـــواهُمُ
فَتُخُرِّمُـــوا، ولُكُـــلِّ جَنْـــبٍ مَصْـــرَعُ

يحكي أبو ذؤيب في هذه الأبيات [1] الرائعة التي تفيض بالمشاعر الحزينة ، وفيها يرثي أبناءه الذين أعملت فيهم المنية عملها ، ورغم عظم مصيبته في أبنائه نراه يحكي لوم أميمة وعتابها له ، فهي تقول : أبسبب حوادث الدهر ونوائبه تتوجع وتتألم ، والدهر لا يعاتب من يفزع ويجزع .

وتتعجب من حاله ، وعدم رغبته في النوم ، كأن المضاجع تأبى أن تألف جنبه ، فيجيب عن عتابها على جزعه ، وعجبها من عدم نومه أن السبب ليس لعلة في جسمه ، وإنما لمصيبته العظيمة التي ذهبت بأولاده ، فماتوا ، وتركوا له مرارة في حلقه ، أذهبت من عينيه النوم ، وتركت فيهما دمعة لا تفارقهما ، لفراق الأولاد ، وغيابهم عن ناظريه ، فقد تخرمتهم المنايا ، وتخطفهم الموت.

وواضح أن عتاب أميمة للشاعر ليس في محله ، فلعلها اتهمته بالبخل والتقتير حين رأت شحوب وجهه ، وضمور جسمه ، فظنت أنه يزهد في الطعام والشراب بخلا بما في يده ، مع أنه رجل ذو مال ، وليس للمال قيمة ولا نفع إذا لم يفد صاحبه ، فأجابها بما يزيل عتابها ، ويدفع خطأها ، وهو أن شحوب وجهه مرجعه إلى فقد أولاده ، وأنه ليس الأمر كما ظنت .

---

١ – ينظر شرح الأبيات : شرح ديوان الهذليين للسكري ص ١ .

وممن تكلم عن عتاب المحبوبة الشاعر أبو صخر الهذلي الذي يقول : [١]

أرائـــح أنـــت يـــوم اثـــنين أم غـــادي
ولم تُســـلم علـــى ريحانـــة الـــوادي
إنـــي أرى مـــن يصـــاديني لأهجرهـــا
كزاجـــر عـــن ســـبيل الله صـــدّاد
يـــا حبـــذا جُودهـــا بالبـــذل تخلطـــه
بالبخـــل بعـــد عِتابيهـــا وتعـــادي
وحبـــذا بُخلـــها عنَّـــا وقـــد عرضـــتْ
دون النـــوال بعـــلاتٍ وألـــداد

يتحدث أبو صخر عن عتاب المحبوبة ، ذلك العتاب الذي لم يخض في سرد أسبابه وتفاصيله ، بل استعاض عن ذلك بتدليلها ، حيث يلقبها بريحانة الوادي ، ويبعث إليها السلام مع كل رائحٍ وغاد ، ويذكر ما كان من أمر الوشاة والحاسدين الذين أرادوا منه أن يهجرها ،ويقطع صلته بها ، لكنه لم يسمع لقولهم، ولم يعبأ بكلامهم ، لأنه شديد التعلق بها ، وهو قانع منها بالهجر والوصل، راضٍ بما تقدمه من عذر إذا اعتذرت عن وصله ، سعيد بقربها إذا جادت بذلك.

وحديث الشاعر هنا حديث الخبير بنفسيات النساء، العالم بأسرارهن، فهو يتجاوز أمر العتاب واللوم سريعا ، ليبرهن على حبه لها ، وتعلقه بها ، ويلجأ إلى التلطف في القول ،حتى يحافظ على حبها له.

---

١ - السابق ص ٩٣٩ .

المبحث الثالث

عتاب الآخر / الصديق والقريب

تعد الصداقة من أقوى الروابط الاجتماعية التي يحرص الناس على المحافظة عليها وتعميقها ،ويعملون على تنقيتها من كل شائبة تشوبها .

كذلك تعد القرابة من أقوى العلاقات التي ينبغي أن تُراعى وتُوطد .

وقد يحدث بين الأصدقاء والأقارب لون من العتاب الذي شأنه أن يصفي النفوس ، ويعود بالصداقة والقربى إلى ماكانت عليه من قوة وصفاء.

وفي سجل الشعر الهُذَلي يظهر أبو صخر متحدثًا عن تجربة لوم وعتاب تعرض لها من أصدقائه الذين لامه بعضهم في مودته لبعض النساء . يقول في ذلك :[١]

أرقتُ ونامَ عني من يلومُ
ولكن لم تنم عني الهمومُ
كأني من تذكرها ألاقي
أذى ما أظلم الليل البهيمُ
يلومك في مودتها رجالٌ
لو أنهم بدائك لم يلوموا
عقولهم وأنفسهم صحاح
وقلبك من تذكرها سقيمُ

١ – هذه الأبيات ليست في ديوان الهذليين ، وقد أوردها الأصفهاني في كتابه الزهرة ١ / ٦٤ تحقيق د. إبراهيم السامرائي، ود. نوري حمودي القيسي – ط مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن ١٤٠٦ ه / ١٩٨٥ م .

في الأبيات السابقة يشتكي الشاعر من الأرق والسهد، ومجافاة النوم ،فنام عاذله ولائمه من أصدقائه وعارفيه ، أما هو فبات ليله مصاحبا للهموم التي جعلت النوم يفارقه ، ويرجع السبب في ذلك إلى ما بادره من ذكرى محبوبته التي تؤدي ذكراها لهذا الألم ، وكأنه لا يكفيه ما فيه من ظلمة الليل لتزيد هذه الذكريات الليل ظلمة إلى ظلمته ، ووحشة إلى وحشته. إنها الوحشة النفسية التي تعدل في قسوتها وحشة الليل البهيم .

ثم يتحدث عن من يلومه في حبها ، ومودتها ، عاتبا عليهم هذا اللوم والعذل ، ويلتمس لهم العذر في ذلك اللوم بأنهم لم يُبتلوا بما ألم به من الداء ، يقصد داء الهوى والعشق ، ولو أنهم أصيبوا به لالتمسوا له الأعذار ، فإنما يعذر العشاق من عشقا .

أما هؤلاء اللائمون فإن عقولهم وأنفسهم صحيحة معافاة من داء الحب ، أما شاعرنا فقلبه موجوع بألم الوجد ، وداء الغرام ،وتباريح العشق .

والشعر هنا يصف عذل أصحابه وأصدقائه على حبه لهذه المحبوبة ، وهو يعذرهم في لومهم لعدم معرفتهم بالحب ، وعدم خبرتهم بما يعانيه العاشق ، ولعل في التماسه العذر لهؤلاء الرُفقاء علاجًا لنفسياتهم المريضة ، وقلوبهم السقيمة ، وفي ذلك –أيضًا– حرص على بقاء صداقتهم ، ودوام صحبتهم ، فهو لا يعاملهم بمثل ما يعاملونه به من السوء ،لعلهم يرتدعون ويكفون عن الخوض فيما لا يعنيهم .

ومما ورد في ديوان الهذليين من عذل الأقارب وعتابهم ما جاء على لسان أبي خراش الهذلي الذي يتحدث عن عذل زوجة أخيه قائلا : [١]

١ – الأبيات في ديوان الهذليين ١١٦/٢ .

لعمـــري لقـــد راعـــتْ أميمـــةُ طلعـــتي
وأن ثـــــوائي عنـــــدها لقليـــــل
تقـــول : أراه بعـــد عـــروة لاهيـــا
وذلـــك رزء لـــو علمـــت جليـــل
ولا تحســـبي أنـــي تناســـيت عهـــده
ولكـــن صـــبري يـــا أمـــيمُ جميـــلُ
ألم تعلمـــي أن قـــد تفـــرق قبلنـــا
خلـــيلا صـــفاءٍ مالـــكٌ وعقيـــلُ

يصف الشاعر في هذه الأبيات مشهدا أثار غضبه ، وهو ما قامـت بـه زوجة أخيه من لومه وعتابه عندما رأته يلاعب ابن أخيه ، فتقول : لائمة عليـه إنك تلهو وتلعب معه ونسيت مصيبة موت أخيك .

فيجيب عليها بطريقة فيها بعض العنف قائلا : لا تحسبي أني لملاعبة هذه الصغير قد تناسيت عهد أخي أو حزني عليه ، ولكن صبري يا أميم ، وهو نـداء ترخيم ربما يقصد منه هنا خلاف المشهور من نداء الترخيم الـذي يفيـد قـرب المنادى من المنادِي ، ولكن هذا النداء هنا ربما أراد منه توبيخا وتحقيـرا مـن شأنها ، ثم يقول لها : ألم تعلمي أنه قد سبق وأن وقع الفراق بين من هم أعظـم منه ، كمالك وعقيل ، وهما رجلان عظيمان كانا في غابر الأزمان [١].

ويُلاحـظ أن الشاعر يعتمد عنصر الإقناع النفسي والعقلي في رده علـى عتاب زوجة أخيه له ، فكل ما فعله هو لعبه مع ابن أخيه المتوفى ، ولعلـه أراد بذلك التخفيف من معاناة هذا اليتيم ، لكنها أساءت فهم الموقف ، وفسرته بأنـه يتنافى مع حزن الشاعر على أخيه الفقيد ، ثم هو يعيب عليهـا كثـرة مراقبتهـا

١ – الأبيات في ديوان الهذليين ص ١١٧ .

لتصرفاته مع أنه لا يزور بيتها إلا قليلا للاطمئنان على أبناء أخيه ، ويؤكد لها أنه كثير الحزن على رحيل أخيه ، لكنه يتجمل بالصبر ، ويتحلى بالجلَد الذي هو أليق بالرجال ونفوسهم القوية ، بينما لا تستطيعه نفسيات النساء الضعيفة.

وأخيرًا يضرب لها المثل بمن مضى من عظماء الرجال ، ليُعْلمها حقيقة أن الموت هو مصير كل الأحياء ، فليس زوجها بدعًا في ذلك ، وطالما أن الموت أمر طبعي فالصبر على فراق الأموات من ضرورات الحياة، فلا ينبغي أن يُلام على الصبر أحد .

وهكذا استطاع الشاعر إقناع هذه المعاتبة إقناعًا نفسيًا وعقليًا ، من خلال سرد الأدلة وعرض البراهين .

الفصل الثاني

البعد الفني في عتاب الآخر للشاعر في القصيدة الهُذَلية

المبحث الأول : اللغة

اللغة هي الإطار الذي يظهر فيه العمل الأدبي، والوسيلة التي يعرض بها المبدع مشاعره وأفكاره .

واللغة تتألف من الألفاظ التي ينشأ عن اجتماعها على نحوٍ مخصوص ما يُعرف بالأسلوب .

وإذا كانت اللغة حافلةً بالمفردات " فالأديب الصادق المبتكِر هو الذي يطوِّع مفردات اللغة التي يستعملها للتعبير عن مشاعره مع المحافظة على سلامتها من اللحن أو ميلها للابتذال " [١] .

وينبغي للشاعر أن يتسلَّح برصيد هائل من الألفاظ اللغوية حتى يتسنى له الانتقاء والاختيار والتفضيل بين الكلمات ذوات الإيحاءات المتسقة مع تجربته[٢].

كما ينبغي له – كذلك – أن يُفيد مما تحمله المفردات من دلالات إيحائية لا تحويها معجمات اللغة ، فالمفردات فى النصِّ الشعري ليست مجرد مصطلحات منطقية لنقل الأفكار ، ولكنها أرواح تختزن فى داخلها مشاعر وإحساساتٍ تجعلها قادرةً على منح دلالات وفاعليات خاصة [٣] .

---

١ – التجربة الإبداعية فى ضوء النقد الحديث : دراسات وقضايا – للدكتور / صابر عبد الدايم ص ٣٧ – مكتبة الخانجى – الطبعة الأولى – ١٤٠٩ هـ / ١٩٩٠ م .

٢ – انظر : التجربة الشعرية عند المتلقى – للدكتور / عبد اللاه محمود حسن محروس ص ٧٢ – مطبعة الأمانة – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٩ م .

٣ – راجع : مقالات فى النقد الأدبى – للدكتور / السعيد الورقى ص ١١ – ط دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩ م ، وقضايا النقد الأدبى المعاصر – للدكتور / محمد زكى العشماوى ص ٢٤١ – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بالإسكندرية – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

فاللغة هي العنصر الثاني في الشعر ، فإن الشعر بناء يتكون من : عاطفة، وكلمة تعبر عن هذه العاطفة ، ولولا اللغة ما استطاع الشاعر أن يعبر عما يجيش في صدره من مشاعر وعواطف ، لذلك كانت اللغة من الأهمية بمكان. " تشكل اللغة المادة الأساسية للشعر ، فوسائل التعبير وطرق الصياغة هي الأساس الجوهري في تعبير المشاعر عن الرؤية والمنطلق في تشكيل النص ، حيث يجسد النص في تشاكل بنياته وتشابك حلقاته نمطا فريدا من الأداء اللغوي تتآزر فيه البنية واللغة في تحقيق الوظيفة الشعرية ، فالبنية تتضمن مجموعة الوحدات والعناصر مرتبة ومنظمة تحمل دلالة وتؤدي غرضا " [١]

وتمثل اللفظة حجر الزاوية في بنية البيت الشعري الذي تتركب منه القصيدة ، وثمة ملامح أسياسية يجب النظر إليها عند محاولة دراسة البنية النصية للقصيدة الشعرية بشكل عام على مستوى اللفظة ، تتمثل هذه الملامح فيما يأتي :

- **سهولة الألفاظ :**

إن المطالع للنماذج الشعرية التي تحدث فيها الشاعر الهذلي عن العتاب واللوم يلحظ أن هذه النماذج لم تكن على درجة واحدة من سهولة الألفاظ ، فقد كانت هناك أبيات شعرية اتسمت بالسهولة والوضوح ، بحيث يمكن فهم المقصود منها دون الحاجة إلى مراجعة معجمات اللغة ، ومن نماذج هذا النوع قول أبي ذؤيب :

أَعاذِلَ لا إِهلاكُ مالِيَ ضَرَّني

وَلا وَارِثي إِن ثُمَّرَ المالُ حامِدي

---

١ – بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين – د/ محمد خليل الخلايلة ص ١٥– عالم الكتب الحديث – الأردن ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

فهذه الكلمات سهلة قريبة المأخذ، وقد عبر بها الشاعر عن معانٍ كبيرة من الدعوة إلى الجود والكرم ، والبذل ، والنهي عن البخل وجمع المال .

ورغم ذلك نجد من الشعراء من يؤثر جزالة الألفاظ وقوتها ، فنجد في شعره ألفاظا قوية ، بعيدة المعنى ، تحتاج إلى إعمال الفكر ، ومراجعة الكتب والمعجمات حتى يقف المتلقي على معناها ، فها هو ذا أبو ذؤيب الهذلي يقول :

فإمَّا يحيننَّ أن تهجري
وتستبدلي خَلَفًا أو نصيحًا
وإما يحيننَّ أن تصرمي
وتنأي نواك وكانت طَرُوحا
فإن ابن تُرْنَي إذا جئتكم
يدافعُ عني قولا بريحا
فصاحب صدق كسيد الضرا
ء ينهضُ في الغزو نهضا نجيحا

نجد هذه الأبيات قد اشتملت على عدد من الألفاظ الجزلة التي لا يظهر معناها من قريب وذلك مثل : الطروح ، ابن ترُنى ، ينهض نهضا ، نجيحا .

فمثل هذه الكلمات القوية الغامضة إلى حد ما تحتاج ممن يطالعها أن يبحث عنها في معجمات اللغة ، وكتب الشروح حتى يستطيع أنن يفهم مقصود الشاعر منها .

والحق أن ميل الشاعر الهذلي – فيما درست من نماذج – إلى الألفاظ السهلة كان أكثر من ميله إلى استخدام الألفاظ الصعبة الجزلة .

- ثانياً : استخدام المفردات الدالَّة على العذل وما يتصل به :

كثيرًا ما يستخدم الشعراء الهذليون الألفاظ التي تدل على العتاب وما يتصل به من اللوم والصد والعذل وغير ذلك .

ولفظ " العذل " ومترادفاته من الكلمات التى تدور كثيرًا فى قصائدهم التي تتحدث عن ظاهرة العذل، والنماذج التي تكشف عن ذلك كثيرة كما وردت في الدراسة الموضوعية ، وأذكر بعضا منها هنا استشهادا ، فها هو أبو صخر الهذلي يستخدم لفظ (العذل) كما ذكر معه لفظ (الملامة) ، وهو من الألفاظ الدالة على العذل أيضا في شعره قائلا :

أَعاذِلُ إنَّ الرُزءَ مِثلُ ابنِ مالِكٍ
زُهَيرٍ وَأَمثالُ ابنِ نَضلَةَ واقِدِ
وَمِثلُ السَدوسِيَّينِ سادا وَذَبذَبا
رِجالَ الحِجازِ مِن مَسودٍ وَسائِد

أُعاذِلُ أَبقى لِلمَلامَةِ حَظَّها
إِذا راحَ عَنّي بِالجَلِيَّةِ عائِدي

أَعاذِلَ لا إِهلاكُ مالِيَ ضَرَّني
وَلا وارِثي إِن ثُمَّرَ المالُ حامِدي

كما استخدم قيس ابن العيزراة لفظ اللوم في أبياته التي يقول فيها :

ألا تلك عِرسي لا تزالُ تلومني
ولو تركتني قد كفتني لوائمي

فهو – هنا – ذكر لفظ اللوم صريحا في ملامة زوجته له ، واصفا حالها معه ، وملامتها إياه.

كما استخدم أبو ذؤيب الهذلي لفظ الهجر والصرم والنأي تعبيرا عن عذل الحبيبة في قوله :

فإمَّـــــا يحيـــــــننَّ أن تهجـــــــري
وتســـــبدلي خَلَفًـــــا أو نصـــــيحًا
وإمـــــا يحيـــــــننَّ أن تصـــــــرمي
وتنـــــأي نـــــواك وكانـــــت طَرُوحـــــا
فـــــإن ابـــــن تُرْنَـــــي إذا جئـــــتكم
يـــــدافعُ عـــــني قـــــولا بريحـــــا
فصـــــاحب صـــــدق كســـــيد الضـــــرا
ء يـــــنهضُ في الغـــــزو نهضـــــا نجيحـــــا

فقد عبر عن عذلها بأكثر من لفظ : تهجري ، تستبدلي ، تصرمي ، نواك، وكل هذه الألفاظ التي تتقارب في المعنى تؤكد وتلح في إظهار المعنى الـــذي أراد الشاعر إيصاله إلى المتلقي .

ويقول في موطن آخر :

فَـــإِن تَصـــرِمي حَبلـــي وَإِن تَتَبَـــدَّلي
خَلـــيلاً وَمِـــنهُم صـــالِحٌ وَسَـــميحُ
فَـــإِنّي صَـــبَرتُ الـــنَفسَ بَعـــدَ اِبـــنِ عَنـــبَسٍ
وَقَـــد لَـــجَّ مِـــن مـــاءِ الشُـــؤونِ لَجـــوحُ

فهو يستخدم الألفاظ الدالة على العذل : تصرمي ، تتبدلي .

وهكذا نلحظ أن الشاعر الهذلي كان دقيقا في استخدام الألفاظ المعبرة التي تصيب هدفه ، وتعبر عما يجول في صدره بشكل يدل على تمكن من اللغة العربية،

فضلا عن مقدرة شعرية فائقة تستطيع توظيف الألفاظ وما يردافها في سياقاتها النصية حسبما يتطلبه المقام ، ويقتضيه الحال .

ثالثاً : استعمال الألفاظ الموحية :

من الظواهر اللغوية فى شعر العذل عند الهذليين استعمال الألفاظ الموحية التى لا تقف عند الدلالات المعجمية ، بل تتخطَّاها حاملةً شحناتٍ انفعاليةً قادرةً على أن تنقل مشاعر المبدع ، وعلى أن تُثير فى المتلقى " مشاعر إيحائية متوسلة بإيماءات ذات وهج ، تظلُّ تتَّسع وتتشعَّب ، مثيرةً تذكاراتٍ عالقةً بالشعور لتتخلق فى أثناء الطريق إيماءات أخرى تمتد وتنفسح أبعادها"[١] .

فقد استطاع الشاعر الهذلي أن يعبر عن معاني اللوم والعتاب باستخدام ألفاظهما الصريحة أو ما يرادفها ، بل وجدنا استخدم ألفاظاً أخرى موحية معبرة عما يجيش في صدره من معاني العتاب ، وردة فعله ناحية هذه المشاعر .

وخير مثال على هذا المنحى الأدبي لدي شعراء هذيل قول أبي خراش الهذلي معبرا عن غضب زوجته لكرمه وجوده قائلا :

لقد علمتْ أمُ الأُديبر أنني
أقول لها هَدّي ولا تَذخري لحمي
فإنّ غداً إن لا نجد بعض زادنا
نُفئُ لك زادا أو نُعَدِّكِ بالأزمِ
إذا هي حنّت للهوى حنّ جوفها
كجوفِ البعير قلبُها غيرُ ذي عزمِ

---

١ – لغة الشعر : قراءة فى الشعر العربى الحديث – للدكتور / رجاء عيد ص ١٥ – ط منشأة المعارف بالإسكندرية – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

فــلا وأبيــكِ الخــير لا تجدينــه
جميـلَ الغِنـى ولا صـبوراً علـى العُـدْم
ولا بطــلا إذا الكُمــاةُ تَزيَّنــوا
لـدى غمـرات المـوت بالحالـك الفَـدِمِ
أبعـد بلائـي ضـلّتِ البيـتَ مـن عَمًـى
تُحـبُّ فراقــي أو يَحـلُّ لهــا شَـتْمي
وإنــي لأشــوي الجــوعَ حتــى يَملَّــني
فيــذهبَ لم يَــدْنسْ ثيــابي ولا جِرْمــي
وأغتبــق المــاءَ القَــراح فــأنتهي
إذا الــزاد أمســى للمــزلَّج ذا طَعــمِ
أردُّ شــجاع الــبطنِ قــد تعمليــنه
وأوثــرُ غــيري مــن عيالــك بــالطُّعم
وإنّــي لأهـدي القـومَ في ليلـة الـدُّجى
وأرمـي إذا مـا قيـل: هـل مـن فتـى يرمـي

فهذه الأبيات لم تشتمل على لفظ من ألفاظ العتاب الصريحة ، كما أنها لم تشتمل على شيء مما يرادفها ، إلا أنها جاءت بألفاظ أخرى موحية ومعبرة عــن مدى غضب زوجته لكرمه وجوده بما يملك ، والذي هو مصدر فخره ، فهو يهدي القوم في الليلة الظلماء ، ويرمى في القتال إذا ما نادي المنادي هل مــن شــجاع قوي فتي يرمي .

ومن هذه الألفاظ: حنت التي توحي بشدة شوق الزوجــة إلــى الطعــام ، وغمرات الموت التي توحي بخطورة الأمر وشدته ، وأثــوي التــي تــدل علــى ملازمته للجوع ، وأوثر التي توحي بكرمه الزائد وجوده الكثير ، وغيرها .

وهذا المنحى الهذلي إذا دل على شيء فإنما يدل على أمر مهم ، وهو قوة الشاعر الهذلي من الناحية الفنية ، فهو قادر على صياغة المعني الذي يحمله في صدره ، بطرق متعددة ، تارة بالتصريح وتارة أخرى بالتلميح ، وهو مما يحمد للشاعر الهذلي .

هذه بعض الملامح اللغوية التي استطعت رصدها على مستوى اللفظة في النماذج الشعرية للعتاب في الشعر الهذلي .

المبحث الثاني

الأسلوب

تناولت فيما سبق بشيء من الإيجاز بعض الظواهر التي أسهمت في التشكيل النصي لشعر العتاب عند الهذليين على مستوى الألفاظ ، وفيما يأتي أحاول رصد بعض هذه الظواهر التي أسهمت كذلك في التشكيل النصي لهذا الشعر على مستوى الأساليب .

وللأسلوب أهميته في العمل الأدبي ،فإذا كانت " الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هى كلمة مفردة " [١] فإنه لابد من تجاورها واتحادها لتكوين الأسلوب الذى هو الوسيلة لنقل المشاعر والأفكار .

والأسلوب هو " العبارات اللفظية التي هي المظهر لطريقتى التفكير والتصوير"[٢] أو هو "طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة فى اختيار الألفاظ على الشكل الذي يرتضيه الذوق ، وتأليف الكلام على الوضع الذي يقتضيه العقل" [٣].

وللأسلوب أهميته التي لا تخفى فى العمل الأدبي فهو " المنوال الذي ينسج فيه التراكيب ، أو القالب الذي يفرغ فيه " [٤] .

١- دلائل الإعجاز فى علم المعانى – للإمام / عبد القاهر الجرجانى ص ٤٨ – تحقيق الشيخ/ محمد عبده ، والشيخ / محمد محمود التركى الشنقيطى ، تعليق السيد محمد رشيد رضا – ط دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .

٢ – الأسلوب : دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية – تأليف / أحمد الشايب ص ٥٤ – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .

٣ – فى النقد الأدبى – للدكتور / عبد العزيز عتيق ص ١٤٥– ط دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م .

٤ – مقدمة ابن خلدون ٣ / ١٣٠٠ – تحقيق الدكتور / على عبد الواحد وافى – ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الثالثة – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

كما أنه من طريقه يمكن الحكم على الأدب ومقدار جودته ، وعلى الأديب ومدى مقدرته على التعبير عن تجربته ، فالأسلوب " أداة التأثير برشاقته ، واختيار ألفاظه ، ورصفها ، وتنسيقها ،

وهو صورة الأديب ، ودليل شخصيته ، والوثيقة الفنية على ذات الشاعر ومدى ارتباطها بالتجربة ، واستغراقها فيها " [١] .

وهذه أهم ملامح الأسلوب في قصيدة العتاب الهُذَلية :

أولا: **استخدام الأساليب الواضحة**:

استخدم الشعراء الأساليب السهلة في حديثهم عن العتاب ، حيث جاءت أساليبهم نائية عن الغموض ، بعيدة عن الإغراب ، يستطيع المتلقي الوقوف علي مراد الشاعر من خلالها دون أدني مشقة .

وفيما سلف ذكرة من شواهد شعرية أكبر دليل على ذلك .

ثانياً: **تنوُّع الأسلوب بين الخبر والإنشاء** :

استطاع الشاعر الهذلي تنويع الأسلوب بين الخبر والإنشاء ، فلم يسر شعر العتاب عند الهذليين على أسلوب واحد، بل تعددت أساليبهم ما بين جمل خبرية ، وأساليب إنشائية .

وفي هذا التنوع –بلا شك– إثراء للمعني ، ودفع للملالة عن المتلقي .

ومن أمثلة شعر العتاب الذي تنوعت فيه الأساليب بين الخبر والإنشاء قول أبي ذؤيب :

---

١ – مناهج البحث الأدبى : دراسة تحليلية تطبيقية ، للدكتور / سعد ظلام ــ ص ١٩٩ ـــ مكتبة نهضة الشرق ــ جامعة القاهرة ــ الطبعة الثانية ــ ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م .

أَمِـــنَ المَنُـــونِ ورَيْبِهـــا تَتَوَجَّـــعُ
والـــدَّهْرُ لـــيسَ بِمُعْتِـــبٍ مَـــنْ يَجْـــزَعُ
قـالـتْ أُمَيْمَـةُ : مـا لِجِسْـمِكَ شـاحِباً
مُنْـــذُ ابْتُـــذِلْتَ ومثـــلُ مالِـــكَ يَنْفَـــعُ
أَمْ مـــا لِجَنْبِـــكَ لا يُلائِـــمُ مضْـــجَعاً
إلاَّ أَقَـــضَّ عَليـــكَ ذَاكَ المضْـــجَعُ
فأَجَبْتُهـــا : أَمَّـــا لجِسْـــمي أَنَّـــهُ
أَوْدَى بَنِـــيَّ مِـــنَ البِـــلادِ فَوَدَّعُـــوا
أَوْدَى بَنِـــيَّ وأَعْقَبُـــونِي غُصَّـــةً
بَعْـــدَ الرُّقَـــادِ وعَبْـــرَةً لا تُقْلِـــعُ
سَـــبَقوا هَـــوَيَّ وأَعْنقُـــوا لِهَـــواهُمُ
فَتُخُرِّمُـــوا ، ولُكِـــلِّ جَنْـــبٍ مَصْـــرَعُ

إن القارئ لهذه المقطوعة الشعرية يلحظ تنـوع الأسـلوب بـين الخبـر والإنشاء ، وإن غلب الأسلوب الإنشائي عليها ، حيث سيطر الاستفهام في أكثـر من موضع في المقطوعة، وهذا الاستفهام جاء لأغراض بلاغية ، فهو في قوله : (أمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تَتَوَجَّعُ) استفهام خرج من المعنى الحقيقي إلى معنى آخر هو التعجب ، فلا يقصد الشاعر – هنا – السؤال عن سبب توجعه من المنون وريبها، ولكنه يتعجب من توجعه بسبب ذلك.

وسؤال أميمة له :

قـالـتْ أُمَيْمَـةُ : مـا لِجِسْـمِكَ شـاحِباً
مُنْـــذُ ابْتُـــذِلْتَ ومثـــلُ مالِـــكَ يَنْفَـــعُ
أَمْ مـــا لِجَنْبِـــكَ لا يُلائِـــمُ مضْـــجَعاً
إلاَّ أَقَـــضَّ عَليـــكَ ذَاكَ المضْـــجَعُ

فهذه الأساليب الاستفهامية خرجت من معناها الحقيقي إلى معنى مجازي هو التعجب والإنكار، فهي تتعجب من شحوب جسمه ، وتتعجب كذلك من عدم نومه ، ومجافة جنبه للرقاد ، وهي تنكر عليه جوده وكرمه الذي أوصله إلى هذه المرحلة من الشحوب والسهاد .

وهكذا ندرك أن الشاعر الهذلي بمهارة أدبية ، وقدرة فنية استطاع توظيف الأساليب المختلفة لخدمة غرضه الشعري .

المبحث الثالث

الخيال والصورة الشعرية

الخيال والصورة الشعرية من العناصر المهمة للتشكيل الفني للقصيدة العربية.

ووظيفة الخيال فى العمل الشعرى إبداع الصورة ، فالصورة الشعرية تُعد تحقُّقًا جوهريًا للخيال [١] ، وإذا كان الميل إلى التصوير أمرًا فطريًا فى الإنسان لكونه شغوفًا بنقل المشاهد والأفكار ورسمها [٢] . فإن هذه المقولة تنطبق تمامًا على الشاعر ؛ حيث يزداد شغفه برسم الصور ، وابتكارها . والصورة الشعرية مجال للإبداع الفنى ، فهى تركيب قائم على الإصابة فى التنسيق الفنىّ الحىّ لوسائل التعبير التى ينتقيها وجود الشاعر [٣] .

وقد برع الشاعر الهذلي في اجتلاب الصور الشعرية التي تخدم غرضه، وتعينه على الإبانة عما في نفسيه ، وقد جاءت أكثر صوره صورًا جزئية ، فهو يستخدم التشبيه كما قول أبي ذؤيب :

أَعاذِلُ إِنَّ الرُزءَ مِثلُ اِبنِ مالِكٍ
زُهَيرٍ وَأَمثالُ اِبنِ نَضلَةَ واقِدِ

(١) راجع : الخيال مفهومه ووظائفه – للدكتور / عاطف جودة نصر ص ١٦١ – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ م .

(٢) انظر : الشعر العربى بين الجمود والتطور – للدكتور / محمد عبد العزيز الكفراوى ص ١٨٩ – ط نهضة مصر ١٩٨٥ م .

(٣) راجع : البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر – للدكتور / على على صبح ص ١١ – المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

وَمِثلُ السَدوسِيَّينِ سادا وَذَبذَبا

رِجالَ الحِجازِ مِن مَسودٍ وَسائِدِ

فهو هنا يستخدم التشبيه ويوظفه لخدمة المعنى الذي أراد أن يوصله لعاذلته ، فهو يعيب عليها عتابها له لأنه كريم ، وأن كرمه هذا هو المصيبة الكبري ، فيقول لها : أخطأت ، فليس كرمي هو المصيبة ، وإنما المصيبة الحقيقية تشبه فقد رجال عظام مثل الذين ذكرهم في الأبيات .

وقوله أيضا :

فصاحب صدق كسيد الضرا

ء ينهضُ في الغزو نهضا نجيحا

فهو يشبه الصاحب الصادق بالسِيد(الذئب) الذي يقف مختبئا وراء الشجر – الضراء – منتهزا الفرصة ليثب وثبة ناجحة على خصمه .

وأرى أن هذا التشبيه يحتاج إلى توضيح ، فلعله أراد بوجه الشبه هنا القوة والجرأة ،وليس المكر والخبث المعروفَين عن الذئب .

وها هو ذا أبو صخر الهذلي يقدم لنا تشبيها آخر قائلا :

إني أرى من يصاديني لأهجرها

كزاجر عن سبيل الله صدّاد

فهو يشبه من يطالبه بالصد عن محبوبته ، وهجرها بالذي يزجر الناس عن اتباع سبيل الله ، وهذا التشبيه في رأيي تشبيه معيب ، فشتان ما بين المشبه والمشبه به .

كما استخدام الشعراء الهذليون الاستعارة للتعبير عن المعاني المختلفة ، ومن ذلك قول أبي خراش الهذلي :

أرد شجاع البطن قد تعمليه

وأوثرُ غيري من عيالك بالطُّعم

فقوله: (شجاع البطن) استعارة تصريحية للجوع.

كما استخدموا الكنايات كما في قول أبي خراش :

وإنّي لأهدي القومَ في ليلة الدُّجى

وأرمي إذا ما قيل: هل من فتى يرمي

فقوله :(إني لأهدي القوم في ليلة الدجى) كناية عن جوده وكرمه، وهي كناية عن صفة .

وقوله :(وأرمي إذا ما قيل : هل من فتى يرمي) كناية عن الشجاعة ، وهي كناية عن صفة أيضا .

كذلك استخدم أبو ذؤيب الكناية معبرا بها عن بعض المعاني في قوله :

فَإِن تَصرِمي حَبلي وَإِن تَتَبَدَّلي

خَليلاً وَمِنهُم صالِحٌ وَسَميحُ

فَإِنّي صَبَرتُ النَفسَ بَعدَ اِبنِ عَنبَسٍ

وَقَد لَجَّ مِن ماءِ الشُؤونِ لَجوجُ

فقوله : تصرمي حبلي ، كناية عن العذل والهجر والقطيعة ، وهي كناية عن موصوف .

كما أن قوله : (قد لج من ماء الشؤون لجوج) كناية عن شدة حزنه على فقد ابن عنبس ، والذي أجرى فقده دموع عينيه ، وهي كناية عن صفة.

المبحث الرابع

التكرار

التكرار في اللغة هو الإعادة جاء في لسان العرب : " وكرر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى. والكرة: المرة، والجمع الكرات. ويقال: كررت عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه"[١]، وفي الاصطلاح : إعادة معنى أو لفظ بعينه وترديده أكثر من مرة [٢].

أحدهم أهمية التكرار بقوله : " وتكمن أهمية التكرار في إشاعة الانتظام في النص ، مما يدفع المتلقي إلى تأمل هذا الانتظام ، وبذلك يعمل التكرار على توجيه الانتباه إلى اللغة ذاتها أولا قبل النظر إلى ما تعنيه ، وهذا يعني في المحصلة النهائية أن التكرار يضفي على اللغة كثافة تشد انتباه المتلقي ، وتحيل الاهتمام إلى طريقة التعبير باللغة ، وأسلوب الشاعر أو الأديب ، وهذه هي غاية الشعرية التي يبحث عنها في النص الأدبي " [٣].

والتكرار من الظواهر الأسلوبية التي لفتت نظر الباحثين في الشعر الهذلي عامة ، وفي شعر العتاب عندهم خاصة.

وقد تنوع التكرار عندهم إلى :

- **تكرار كلمة :**

يقصد بالكلمة – هنا – الاسم والفعل ، ولا شك أن تكرار الكلمة على هذا المستوى يمثل مثيرا أسلوبيا يحث القارئ على البحث فيما وراء النص ، فتكرار الاسم يدعو القارئ إلى البحث عن سبب هذا التكرار [٤].

---

١ – لسان العرب ٥ / ١٣٥ .
٢ – ينظر : بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين ص ٣٢ .
٣ – المرجع السابق ص ٣٢ .
٤ – المرجع السابق الصفحة نفسها

وقد رصدت نماذج شعرية هذيلية استخدم فيها الشاعر تكرار الاسم ومنها :

قول أبي خراش :

لعمري لقد راعتْ أميمةُ طلعتي
وأن ثوائي عندها لقليل
تقول : أراه بعد عروة لاهيا
وذلك رزء لو عملت جليل
ولا تحسبي أني تناسيت عهده
ولكن صبري يا أميمُ جميلُ
ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا
خليلا صفاءٍ مالكٌ وعقيلُ

يظهر التكرار في هذه الأبيات في ذكره اسم (أميمة) مرتين الأولى في البيت الأول ، والثانية في البيت الثالث (أميم) وقد جاء به مرخما .

ولعل السر في هذا التكرار هو رغبة الشاعر التأكيد على توبيخ مخاطبته على لومها له ، وظنها به أنه نسي أخاه ، وتلاهي عنه بملاعبة ابنه ، فهيج ذلك مشاعر أبي خراش فعاتبها ووبخها ، وكرر الاسم للتأكيد على هذا المراد الذي في نفسه .

ومن نماذج تكرار الاسم أيضا قول أبي ذؤيب الهذلي :

أَعاذِلُ إِنَّ الرُزءَ مِثلُ اِبنِ مالِكٍ
زُهَيرٍ وَأَمثالُ اِبنِ نَضلَةَ واقِدِ
وَمِثلُ السَدوسِيَّينِ سادا وَذَبذَبا
رِجالَ الحِجازِ مِن مَسودٍ وَسائِدِ

أُعـــاذِلُ أَبقـــى لِلمَلامَـــةِ حَظَّهـــا
إِذا راحَ عَنّـــي بِالجَلِيَّـــةِ عائِـــدي
أَعـــاذِلَ لا إِهـــلاكُ مـــالِيَ ضَـــرَّني
وَلا وَارِثـــي إِن ثُمّـــرَ المـــالُ حامـــِدي

لقد كرر أبو ذؤيب كلمة (عاذل) ثلاث مرات ، وهو يقصد بها زوجتـــه ، وإني لأستشعر في هذا التكرار مدى الضيق الذي بلغه أبو ذؤيب من زوجته التي أخذت تعيب عليه كرمه وجوده ، فكرر وصفها بالعاذلة مرة بعد مرة ، كأنها دعوة منه مرة بعد مرة لها أن ترعوي عما هي فيه .

كما كرر أبو صخر الفعل في قوله :

فَقـــالوا تَرَكنـــاهُ تَزَلـــزَلُ نَفسُـــهُ
إِذا أَســـنَدوني أَو كَـــذا غَـــيرَ ســـانِدِ
قَضَـــوا مـــا قَضَـــوا مِـــن رَمِّهـــا ثُـــمَّ أَقبَلـــوا
إِلَـــيَّ بِطـــاءَ المَشـــي غُـــبرَ السَـــواعِدِ
يَقولـــونَ لَمّـــا جُشَّـــتِ البِئـــرُ أَوردوا
وَلَـــيسَ بِهـــا أَدنـــى ذُفـــافٍ لِـــوارِدِ

نلحظ في هذه الأبيات أنه كرر الفعل (قال) مرة بصيغة الماضي (فقالوا) ، ومرة بصيغة المضارع (يقولون) ، ولهذا التكرار دلالة أسلوبية ، فلعل الشاعر أراد بهذا التكرار تأكيد نسبة هذا القول لهم ، ليس ذلك فحسب ،بـــل وإصـــرارهم عليه ، ومما يؤكد وجهة النظر هذه أن الشاعر صدر البيت الأول بفعـــل القـــول بصيغة الماضي التي تدل على ثبوت الوقوع وتأكيده ،ثم أعقب هذه الصيغة بفعل القول مضارعا ، ليدل على التجدد والاستمرار في ا

هذه بعض نماذج أسلوبية لظاهرة التكرار على مستوى الكلمة في شـــعر العذل عند الهذليين ، وهو يكشف عن قدرة بارعة في توظيف ظـــاهرة التكـــرار

لخدمة المعنى الذي يريد الشاعر إيصاله للمتلقي ، يبرز مدى إلحاح الشاعر على رغبته في سلك كل السبل التي تصل به إلى هذا الهدف ، وتبلغه ما يصبو إليه من غاية.

- **تكرار أسلوب** :

من الملامح الأسلوبية – أيضا – تكرار أسلوب كالنداء أو الاستفهام ولهذه الأساليب دورها الفاعل في إثراء المعنى ، وتهيئة ذهن المتلقي لاستقبال المعاني كما يريدها الشاعر .

ولقد تعددت النماذج التي تكرر فيها أسلوب النداء ، ومن ذلك أبيات أبي ذؤيب السابقة ، فقد تكرر النداء (أعاذل) ثلاث مرات في هذه الأبيات ، ويقدم لنا أحد الباحثين رؤيته النقدية في بروز تكرار النداء في الشعر الهذلي عامة فيقول : " يتردد أسلوب النداء في أشعار هذيل حتى غدا ظاهرة تكرارية ارتبطت في تشكيلة النص الرئيسية ، وللنداء بنية تقوم على علاقات داخلية ما بين عناصره ، ومن أهم هذه العناصر : الأداة و المنادى و. الرؤية

وتشكل هذه العناصر أسلوبا للنداء بث الشاعر الهذلي من خلاله رؤية خالصة تجاه الدهر والقدر ومصير الحي في هذه الحركة للدهر .

وتقوم الأداة بدور استحضار العنصر الآخر / المنادى ليتآزر المنادي والأداة في تجسيد غاية الشاعر ورؤيته وتجسيدهما "[١].

ولعل من نافلة القول الإشارة إلى أن " أسلوب التكرار أبرز الظواهر الأسلوبية في اتجاهات الشعر عند الهذليين ؛ إذ جسدوا من خلاله مشاعرهم الوجدانية وحالاتهم النفسية " [٢].

---

١ – بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين ص ٤٠ .

٢ – اتجاهات الشعر عند الهذليين ص ٢٥٩ .

المبحث الخامس

استخدام عنصر القص والحوار :

يشيع استخدام أسلوب القص والحوار فى قصائد العتاب عند شعراء هذيل، وهذا اللون من الأساليب يُعْطى النصَّ قدْرًا من الحيوية ، وينأى به عن رتابة السَّرْد اللغوى ، ونمطيَّة الأداء التعبيرى .

والحوار فى شعر العتاب يكون فى الأعم الأغلب حوارًا حقيقياً بين الشاعر ومن يعاتبه، يصوغه فكر الشاعر بما يلائم تجربته ، ويوافق مشاعره .

وكثيرًا ما يعتمد الأسلوب الحوارى لدى الشعراء في غرض العتاب على الفلسفة التى يتَّخذ منها الشاعر طريقًا لعرض وجهة نظره إزاء الحقائق والأشياء .

وقد " أكثر الهذليون من استخدام أسلوب القص ، فأصبح – الأسلوب القصصي – مظهرا تكراريا بالغ الحدة ، وكان هذا الأسلوب خصيصة هذلية في أسلوبها وعناصرها " (١).

ومن نماذج أسلوب القص والحوار في سياق عذل العتاب في الشعر الهذلي قول أبي ذؤيب :

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِها تَتَوَجَّعُ
والدَّهْرُ لَيسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ
قالَتْ أُمَيْمَةُ : ما لِجِسْمِكَ شاحِباً
مُنْذُ ابْتُذِلْتَ ومِثْلُ مالِكَ يَنْفَعُ

١ – بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين ص ٤٣ .

أَمْ مـــا لِجَنْبِـــكَ لا يُلائِـــمُ مضْـــجَعاً
إلاَّ أَقَـــضَّ عَليـــكَ ذَاكَ المضْـــجَعُ
فأَجَبْتُهـــا : أَمَّـــا لجِسْـــمي أَنَّـــهُ
أَوْدَى بَنِـــيَّ مِـــنَ الـــبلادِ فَوَدَّعُـــوا
أَوْدَى بَنِـــيَّ وأَعْقَبَـــونِي غُصَّـــةً
بَعْـــدَ الرُّقَـــادِ وعَبْـــرَةً لا تُقْلِـــعُ
سَـــبَقوا هَـــوَيَّ وأَعْنَقُـــوا لِهَـــواهُمُ
فَتُخُرِّمُـــوا ، ولُكِـــلِّ جَنْـــبٍ مَصْـــرَعُ

وواضح من النظرة الأولى لهذه الأبيات معـالم الحـوار الـذي دار بـين الشاعر وعاذلته ، وكان هذا الحوار في شكل سؤال وإجابة عن هذا السؤال ، وقد استعان به الشاعر في عرض أفكاره ، وإقامة الحجة على من تعاتبه .

المبحث السادس

التشكيل الموسيقي

يمتاز الشعر عن غيره من فنون الأدب بموسيقاه التى تهبهُ قــوة النفــوذ والتأثير ، وتُكسبهُ متعة الإنشاد وسهولة الحفظ والترديد .

وموســيقا الشــعر " هــى سِــمَتُهُ الواضــحة التــى لا غمــوض فيهــا ولا إبهام ، وهى التى تضيف إلى الكلمات حياة فوق حياتها ، وهى التــى تصــل بمعانى الشعر إلى قلوبنا بمجرد سماعه ، وكل هذا مما يُثير منا الرغبة فى قراءته وإنشاده " (١) .

وإذا كانت الموسيقا تُساعد المبدع فى بناء مضمونه الشعرى ، وانســياب أفكاره ومشاعره (٢) ، فهى تزيد من انتباه المتلقى ، وتجعله يحس بمعانى الشعر كأنها تُمَثَّل أمام عينيه تمثيلاً واقعيًّا ، كما أنها تَهَبُ الكلام مظهــرًا مــن مظــاهر العظمة والجلال ، وتجعله قادرًا على الوصول إلى قلب المتلَقِّــى فيــردِّده مــرارًا وتكرارًا (٣) .

ويفرِّق دارسو موسيقا الشعر بين لونين من الموسيقا :

أحــدهما : الموسيقا الخارجية المتمثلة فى الوزن والقافيــة ، **والآخــر** : الموسيقا الداخلية الناشئة عن تناغم الكلمات ، وإيقاع العبــارات داخــل البيــت أو السطر الشعرىّ فى القصيدة .

---

(١) فى النقد الأدبى – للدكتور / عبد العزيز عتيق ص ١٧١ .

(٢) انظــر : قضــايا النقــد الأدبــى الحــديث – للــدكتور / محمــد الســعدى فرهــود ص ١٣٤ – ط دار الطباعة المحمدية ١٩٧٩ م .

(٣) راجع : موسيقا الشعر – للدكتور / إبراهيم أنــيس ص ١٦ – الطبعــة الخامســة – دون إشارة إلى مكان الطبع أو تاريخه .

وسأحاول في الصفحات التالية – بعون الله تعالى – أن أقف على بعض مظاهر موسيقا الشعر الخارجية والداخلية في قصيدة العتاب عند شعراء هذيل:

تشتمل موسيقا الشعر الخارجية على الوزن الذى يُبنَى عليه إيقاع القصيدة ، وعلى القافية التى تنتهى بها أبياتها .

و المتأمل في موضوع العتاب في القصيدة الهذلية يجد أن الشعراء قد نظموا قصائدهم على عدد من بحور الشعر الخليلية كالطويل والكامل والبسيط والوافر والمتقارب.

وهي بحور مناسبة لغرض العتاب ، فهي بحور طويلة تتسع لإفراغ الشحنة النفسية والانفعالية للشاعر ، كما أنها تتسم بهدوء موسيقاها وهو أمر يلائم مقام العتاب.

وقد استخدم الشعراء عددًا من حروف الروي أذكرها مرتبةً حسب كثرة ورودها :

١- حرف الميم .

٢- حرف الدال.

٣- حرف العين.

٤- حرف الام.

٥- حرف الجيم.

٦- حرف الحاء.

وجاءت هذه الحروف في روي القصائد منسجمة مع بقية العناصر الفنية للقصيدة ، ملائمة لحالة الشاعر النفسية ، متوافقة مع غرض القصيدة ومعانيها.

كما استخدم الشعراء ألوانًا من موسيقا الشعر الداخلية التي تزيد من موسيقية الأبيات ، وتضاعف إيقاعها ومن ذلك التصريع كما في قول أبي ذؤيب:

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ
والدَّهْرُ لَيسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

والتكرار كما في قول أبي صخر :

قضوا ما قضوا من رمها ثم أقبلوا *** إلي بطاء المشي عبر السواعد

والجناس كما في قول أبي خراش:

وإني لأهدي القوم في ليلة ي *** وأرمي إذا ما قيل : هل من فتي يرمي ؟

و رد الإعجاز على الصدور كما في قول أبي ذؤيب :

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعًا *** إلا أقض عليك ذاك المضجع

وقد كان لهذه العناصر دورها في إثراء البنية الإيقاعية للقصيدة ، وزيادة الجانب الموسيقي فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات ، وبتوفيقه ومَنِّهِ تكتمل الطاعات ، وتُقضَى الحاجات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد من ربه بالمعجزات، وعلى آله وصحبه الغر السادات .

أما بعد ، فقد انتهيت بعون الله –تعالى– وتوفيقه من إعداد هذا البحث الذي تناول: (البعد النفسي والفني في عتاب الآخر للشاعر في القصيدة الهُذَلية).

وقد خلصت منه إلى النتائج التالية :

أولاً : يعد غرض العتاب من الأغراض الشعرية التي عُني بها الشعراء الهُذَليون ، وأكثروا منها .

ثانيـا :الشعر المروي عن هذيل هو شعر يمثل الفكر الأدبي لدى قبيلة عربية مشهورة ، وقد مكن هذا الشعر من الكشف عن المنهج الفكري والاجتماعي والثقافي لهذه القبيلة،ولاشك في أن هذا يكشف الكثير عن المكانة الأدبية لهذه القبيلة العربية .

ثالثا : تعددت الاتجاهات الشعرية لعتاب الآخر في الشعر الهذلي ، وكان أبرز هذه الاتجاهات يتمثل في عتاب الزوجة لزوجها ، وعتاب الحبيبة لحبيبها ، وعتاب الأصدقاء والأقارب ، ولكل اتجاه منها شواهده الشعرية التي تكفل البحث بدراستها وتحليلها .

رابعـا :كان ميل الشاعر الهذلي إلى الألفاظ السهلة أكثر من ميله إلى استخدام الألفاظ الصعبة الجزلة، وهذا ما أظهرته الشواهد المدروسة خلال البحث .

خامسا : كان الشاعر الهذلي دقيقًا في استخدام الألفاظ المعبرة التي تصيب هدفه، وتكشف عما يجول في صدره بشكل يدل على تمكنه من اللغة ، فضلا عن امتلاكه لمقدرة شعرية فائقة تستطيع توظيف الألفاظ وما يردافها في سياقاتها النصية حسبما يتطلبه المقام ، ويقتضيه الحال .

سادسا : استطاع الشاعر الهذلي بمهارة أدبية ، وقدرة فنية- توظيف الأساليب المختلفة لخدمة غرضه الشعري .

سابعا :اشتملت قصيدة العتاب الهذلية على ألوان من الصور الشعرية التي تدل على خيال محلق ، وشاعرية رحبة .

ثامنا: وظف شعراء العتاب من الهذليين ظاهرة التكرار لخدمة المعنى الذي يريد الشاعر إيصاله للمتلقي ،وهذا يبرز مدى إلحاح الشاعر على رغبته في سلك كل السبل التي تصل به إلى هدفه .

تاسعا : اعتمد الشاعر الهذلي على أسلوب الحوار والقص في نماذج العتاب الشعرية التي رويت عنهم ، وهو أسلوب يجعل النص يحمل روحا حية ، ويلفت نظر المتلقي إلى هذا الحوار فيقع في نفسه موقعا حسنا .

عاشرا: كان للإيقاع الموسيقي دوره الفاعل في قصيدة العتاب الهذلية ، حيث برع شعراؤها في توظيف عناصر الموسيقا الخارجية والداخلية .

وفي نهاية هذا البحث أسأل الله – عزّ وجلّ – أن أكونَ قد وُفِّقتُ إلى ما تهفو إليه النفس ، وتسمو إليه الغاية ، فإن أكن قد وُفِّقتُ ، فذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء ، وله الحمدُ والمنَّة ، وإن كانت الأخرى ، فحسبي أني اجتهدت ، ولله أخلصتُ ، والإنسان محل النسيان ، والكمال وحده لذي الجلال .

والحمد لله أولا وآخرا

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (تبارك من أنزله) .
- آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا بن محمد بن محمود القزويني ــ ط دار صادر ــ بيروت ــ لبنان دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- أبو ذؤيب : حياته وشعره ــ نوره الشعلان ــ جامعة الرياض ــ السعودية ١٩٨٠م .
- اتجاهات الشعر عند الهذليين لمحمد يوسف غريب، جامعة اليرموك ٢٠١٢م .
- الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية تأليف أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م.
- الأعلام لخير الدين الزركلي ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة عشر ، ٢٠٠٢م .
- الأنساب لعبد الكريم بن محمد السمعاني ، تحقيق عبد الله عمر البارودي ، ط دار الجنان ، بيروت ، لبنان ١٩٨٨م .
- البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر – للدكتور / على على صبح ، المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين – للدكتور/ محمد خليل الخلايلة ، ط عالم الكتب الحديث – الأردن ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .
- تاج العروس ، للزبيدي ، ط دار الهداية ــ دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) لمحمد بن جرير الطبري– ط دار التراث – بيروت– لبنان– الطبعة الثانية – ١٣٨٧ هـ .
- التجربة الإبداعية فى ضوء النقد الحديث : دراسات وقضايا – للدكتور / صابر عبد الدايم – مكتبة الخانجى – الطبعة الأولى – ١٤٠٩ هـ / ١٩٩٠ م .

- التجربة الشعرية عند المتلقى – للدكتور / عبد اللاه محمود حسن محـــروس– مطبعة الأمانة – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـــ / ١٩٨٩ م .
- جمل من أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى البَلَاذُري ، تحقيـــق: ســـهيل ذكـــار ورياض الزركلي – ط دار الفكر – بيروت الطبعة: الأولـــى، ١٤١٧ هـــــ – ١٩٩٦ م .
- الخيال : مفهومه ووظائفه – للدكتور / عاطف جـــودة نصـــر – ط الهيئـــة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ م .
- دلائل الإعجاز فى علم المعانى – للإمام / عبد القـــاهر الجرجـــانى – تحقيـــق الشيخ/ محمد عبده ، والشيخ / محمد محمـــود التركـــى الشـــنقيطى ، ط دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـــ / ١٩٩٤ م .
- ديوان الهذليين ، طبعة دار الكتب المصرية – الطبعة الثانية ١٩٩٥م .
- الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله محمد بن عبـــد الله بـــن عبـــد المنعم الحِميرى، تحقيق: إحسان عباس الناشر: مؤسســـة ناصـــر للثقافـــة – بيروت – لبنان– الطبعة الثانية، ١٩٨٠ م.
- الزهرة للأصفهاني ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، ود. نوري حمودي القيسي – ط مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن ١٤٠٦ ه / ١٩٨٥ م .
- شرح أشعار الهذليين ــ صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري – تحقيق / عبد الستار أحمد فراج – مراجعه / محمود محمد شاكر – مطبعـــة المـــدني بالقاهرة – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- الشعراء الصعاليك في العصر الجـــاهلي للـــدكتور/ يوســـف خليـــف – ط دار المعارف – الطبعة الرابعة .
- شعراء هذيل : أخبارهم وأشعارهم في القرن الأول الهجري ، للمكي العلمـــي ، جامعة دمشق ١٩٨٣.

- الشعر العربى بين الجمود والتطور – للدكتور / محمد عبد العزيز الكفراوى – ط نهضة مصر ١٩٨٥ م .
- صفة جزيرة العرب لابن الحائك، الشهير بالهمداني ، طبعة : مطبعة بريل- ليدن، ١٨٨٤م.
- فى النقد الأدبى – للدكتور/ السعيد الورقى– ط دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩م .
- فى النقد الأدبى – للدكتور / عبد العزيز عتيق – ط دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م .
- قضايا النقد الأدبى الحديث – للدكتور / محمد السعدى فرهود – ط دار الطباعة المحمدية ١٩٧٩ م .
- قضايا النقد الأدبى المعاصر – للدكتور / محمد زكى العشماوى – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بالإسكندرية – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندي ، تحقيق: إبراهيم الإبياري – ط دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢ م
- اللباب في تهذيب الأنساب – لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير – ط دار صادر – بيروت .
- لسان العرب لابن منظور ، ط دار صادر – بيروت – لبنان- الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .
- لغة الشعر : قراءة فى الشعر العربى الحديث – للدكتور / رجاء عيد – ط منشأة المعارف بالإسكندرية – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام – لأحمد سليمان مهنا – الجامعة الإسلامية – غزة – كلية الآداب ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر كحالة الدمشقي _ ط مؤسسة الرسالة، بيروت _ لبنان _ الطبعة: السابعة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- المعجم الوسيط _ إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة – ط دار الدعوة – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- مقالات فى النقد الأدبى – للدكتور / السعيد الورقى– ط دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩ م .
- مقدمة ابن خلدون – تحقيق الدكتور / على عبد الواحد وافى – ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الثالثة – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- مناهج البحث الأدبى : دراسة تحليلية تطبيقية ، للدكتور / سعد ظلام ــ مكتبة نهضة الشرق ــ جامعة القاهرة ــ الطبعة الثانية ــ ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م .
- موسيقا الشعر – للدكتور / إبراهيم أنيس – الطبعة الخامسة – دون إشارة إلى مكان الطبع أو تاريخه .
- نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد لإبراهيم بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن جنبلاط بن سعد الْيَازِجِيّ الْحِمْصِيّ – مطبعة المعارف، مصر ١٩٠٥ م .
- هذيل في جاهليتها وإسلامها – تأليف الدكتور / عبد الجواد الطيب – ط الدار العربية للكتاب ١٩٨٢م .
- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، ط دار إحياء التراث ــ بيروت ــ لبنان ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	٢١٥٩
٢	التمهيد : مفهوم العتاب	٢١٦١
٣	قبيلة هذيل ومكانتها	٢١٦٣
٤	الفصل الأول البعد النفسي في عتاب الآخر للشاعر في القصيدة الهُذَلية	٢١٦٨
٥	المبحث الأول : عتاب الآخر / الزوجة	٢١٧٠
٦	المبحث الثاني : عتاب الآخر / المحبوبة	٢١٧٩
٧	المبحث الثالث : عتاب الآخر / الصديق والقريب	٢١٨٤
٨	الفصل الثاني البعد الفني في عتاب الآخر للشاعر في القصيدة الهُذَلية	٢١٨٨
٩	المبحث الأول : اللغة	٢١٨٨
١٠	المبحث الثاني : الأسلوب	٢١٩٦
١١	المبحث الثالث : الخيال والصورة الشعرية	٢٢٠٠
١٢	المبحث الرابع : التكرار	٢٢٠٣
١٣	المبحث الخامس : استخدام عنصر القص والحوار	٢٢٠٧
١٤	المبحث السادس : التشكيل الموسيقي	٢٢٠٦
١٥	الخاتمة	٢٢١٢
١٦	فهرس المصادر والمراجع	٢٢١٤
١٧	فهرس الموضوعات	٢٢١٨